الإنساني 36

المنظمات الدينية الخيرية في العالم العربي

[ملف]

المشهد الإنساني الراهن في العراق

تصدر كل ثلاثة شهور عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر

ICRC

غير مخصصة للبيع

العدد السادس والثلاثون

صيف 2006

الرسم: **السيد مسعود شجاعي طباطبائي**، إيران

عودة البشرية من رحلة الأوهام

في الخامس من يونيو الماضي، رحل عن عالمنا المفكّر السياسي والمناضل المصري المرموق الدكتور أحمد عبدالله رزة، الذي شرفت هذه المجلة بنشر الأسطر الأخيرة التي خطها قلمه النبيل في مقال له نشر بالعدد الثالث والثلاثين بعنوان: "اللامعقول في اللامتناهي اللاإنساني"، يشخص فيه الحالة الإنسانية الراهنة على صعيد العالم.

كتب الراحل العزيز يقول:

"في هذا العالم (الوهمي عقلا، والعنيف فعلا) للملائكة والشياطين. تجد الأقلية البشرية الباقية نفسها في موقع صعب. فهي مطالبة بالدخول في عدة معارك متزامنة ومتلاحقة وكلها شديدة الصعوبة. إنها مطالبة أولا بالدخول في معركة التصدي للوهم الفكري والعنف الفعلي، وهي معركة طويلة المدى وهدفها ليس أقل من استعادة الإنسانية إلى الإنسان أو على الأقل اختصار الخريف وإطالة الربيع. إنها معركة إصرار الأقلية على استعادة موقع الأغلبية بل معركة عودة البشر إلى الكرة الأرضية من رحلة الأوهام.

أما معركة المدى المتوسط فتتعلق بتحرير المزيد من الأرض التي يأمن الناس فيها من الخوف. إنها معركة الانتصار للإنسان العادي الذي لا ينتمي لأي من الفسطاطين الوهميين، فهذا الإنسان الآن لا يستطيع أن يسير آمنا في شارع أو حارة ولا يستطيع أن يسافر مطمئنا في مطار أو ميناء، ولا يستطيع أن يجلس مسترخيا في مقهى أو مطعم. إذ تحوم حول رأسه حلقة النار المغايرة لحلقة النور التي تحوم حول رأس القديسين. وللنار مصادرها المتنوعة من قنابل عنقودية أو ارتجاعية، ومن سيارات مفخخة، ومن أحزمة ناسفة، وكل ما في ترسانة العنف من أسلحة تقليدية ومستحدثة.

وتبقى معركة المدى القصير ساحة للفعل الإنساني العاجل الآمل أن يكون ناجزا".

لقد اختارت الأقدار لهذه المنطقة المنكوبة أن تكون مسرحا للعبث الذي نشهد مجونه مع كل شريط أخبار، واختارت لنا أن تصبح إنسانيتنا قربانا غير مقدس على مذبح المواجهة بين من يملكون السلاح ويتعاملون مع الإنسانية بمنظار قيامي، هو في واقع الأمر منظار انتقامي يسعى لكي يحيلنا جميعا إلى ما يشبه الدمى المستلبة التي تحركها أقدار شريرة في لعبة غرائبية. إنه مسرح تقوم لعبته الدرامية على تنحية الإنسان جانبا لتطلق العنان لكل الأوهام التي تستبد بالواقع، وهي الأوهام التي عاش يحاربها المناضل الراحل أحمد عبدالله بعقله الفذ وبصيرته النافذة.

في هذه الحرب التي تبدو لنا على المدى القصير حربا غير متكافئة، قد تنهزم الإنسانية ساعة من الدهر، ومع ذلك فهذه الساعة بمنطق التاريخ لا تعدو أن تكون لحظة عابرة، تعود بعدها الإنسانية لذاتها كما عادت من قبل عقب كل جنون عابر.

لا شك إذن إطلاقا في أن الإنسانية ستعود إلى رشدها أيضا هذه المرة، لكن المؤلم أن عودتها، في كل مرة من رحلة الأوهام تأتي مثخنة بالجراح، ومثقلة بالألم. فدونها وهذه العودة تقع مسافة يسقط فيها الضحايا، وتنهدم فيها صروح عانى البشر الأمرين في سبيل إقامتها وإضاءتها في كوكب محاط بغموض الظلمات التي يسعى الناس جهدهم لتبديدها بلا كلل •

"الإنساني"

الانساني

تصدر كل ثلاثة شهور عن
اللجنة الدولية للصليب الأحمر

المدير المسؤول **تمارا الرفاعي**
مدير التحرير **محمد سيف**
مستشار التحرير **عنايات فريد**
المستشار القانوني **د.عامر الزمالي**

المراسلات : 31 شارع جدة، حي المهندسين، القاهرة 12311
تليفون 7619332 • 3379282 فاكس 7618487
البريد الإلكتروني: csc.cai@icrc.org

الآراء الواردة بهذه المطبوعة لا تعبر إلا عن وجهة نظر أصحابها

ICRC

اللجنة الدولية للصليب الأحمر منظمة مستقلة محايدة، أنشئت عام 1863. مهمتها إنسانية بحتة، تتمثل في حماية أرواح ضحايا الحرب وكرامتهم وتقديم المساعدة لهم. تقوم اللجنة بتوجيه وتنسيق أنشطة الإغاثة التي تنفذها الحركة الدولية للصليب والهلال الأحمر. وتعمل على ترويج وتدعيم القانون والمبادئ الإنسانية العالمية.

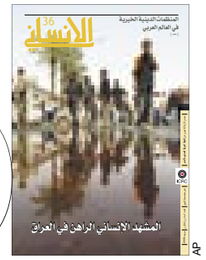

36
صيف 2006

مستشفيات العراق: مؤسسات تعمل تحت طائلة العنف 05

العراق: **النزوح داخل الوطن** 08

العراق: **القتل على الهوية !** 10

العراق: **فنون العراق وحضارة الرافدين** 12

العراق: **ثقافة الدم ودم الثقافة !** 14

الصومال: **بين مطرقة الجفاف وسندان العنف المسلح** 16

تشاد: **أطباء كوبيون في الميدان** 18

الأراضي المحتلة: **أثر الجدار على الظروف المعيشية للفلسطينيين** 20

المنظمات الدينية الخيرية في العالم العربي (ملف خاص) 23

العمل الخيري في الإسلام 24

المنظمات الخيرية الإسلامية بعد أحداث سبتمبر 27

ماهية العمل الخيري 30

من أين تستمد المنظمات الخيرية الدينية مصداقيتها وسلطتها؟ 32

التوفيق بين مبادئ الحركة الدولية والواجبات الإسلامية 34

المقاصد الخيرية الإسلامية لكل إنسان ولكل الإنسان 36

الإغاثة الإسلامية: المساعدة بغض النظر عن الدين أو العرق أو الثقافة 38

تنسيق عمليات الإغاثة دوليًا مع المنظمات الوطنية غير الحكومية 40

الوكالات المانحة والمنظمات الخيرية الدينية 42

صور : **النازحون** 44

قصائد عراقية 48

من ذاكرة الحروب : حياة ساكنة 50

أركان العالم 53

بلا رتوش: **الحرب ليست هنا** 56

إصدارات 58

المشهد الإنساني الراهن في العراق

AFP

في حوار أجراه، الدكتور علي طه ياسين، أحد الزملاء العاملين ببعثة اللجنة الدولية في العراق مع طبيب عام يعمل بمستشفى "الإمام علي" بمدينة الصدر شرقي بغداد، كشف الطبيب عن جانب من صورة المشهد الإنساني الراهن بالعراق، والمصاعب التي تواجهها المؤسسة الصحية العراقية في ظل أوضاع الفوضى الأمنية السائدة. •••

مستشفيات العراق: مؤسسات تعمل تحت طائلة العنف !

Al-Insani ♦ summer 2006

AFP

••• **يقول** الطبيب، واسمه "الدكتور محمد"، أنه وزملاءه معرضون في أية لحظة للاعتداء عليهم من قبل أي طرف رسمي أو غير رسمي لا يعجبه الوضع في المستشفى بسبب نقص الأدوية، الذي هم غير مسؤولين عنه، أو أية مسائل اخرى لا تعجب هذا النوع من المتهجمين، وهو اعتداء يبدأ بالتهجم اللفظي وقد يصل إلى استخدام العنف البدني.

وفي سؤال له عما يحدث في حياته اليومية كطبيب يعمل في الظروف الحالية في العراق، أجاب بأن من يمتهن الطب بالعراق حاليا يواجه عدة مصاعب: فظاهرة العنف ضد الأطباء تتزايد. صحيح أنها موجهه إلى الكوادر المتخصصة والعليا في البلد من حملة المؤهلات العليا وفي مجالات الطب المختلفة ولكن في بعض الحالات أيضا يتعرض الأطباء العامون من الخريجين الجدد للعنف على أساس عرقي أو مذهبي أو غيرها من أسباب العنف العبثي التي تغرق العراق الآن. هذا العنف يحدث داخل المستشفيات. أما خارج المستشفيات كما يقول الدكتور محمد "فمن الممكن أن يتعرض الطبيب للاختطاف أو القتل حاله حال أي مواطن" مع ملاحظته أن أسباب استهداف الأطباء قد تبدو مجهولة ولكن ربما كان ذلك يحدث ضمن سياسة تستهدف تهجير الكفاءات وإفراغ البلد من العقول.

حماية هشة

في ظل الأوضاع المتدهورة والمصاعب، كثيرا ما يتعطل سير العمل بالمستشفيات، بسبب عدم توفر الحماية الخاصة أو العامة، فكثيرا ما يحدث أن يتغيب واحد من الأطباء بسبب حدوث انفجار في المنطقة التي يسكنها أو بفعل تعرضه لحادث أمني في الطريق أو غير ذلك مما يضطر زملاءه للحلول محله والقيام بأعباء إضافية.

ففي داخل المستشفى، يفترض أن الحماية المفروضة تقع تحت مسؤولية وزارة الصحة وهي تدعي "حماية المنشآت". لكن دورها ضعيف، فيما كان في السابق مجرد وجود شرطي واحد في المستشفى يكفي لحماية المستشفى بكاملها، على حدّ قول الطبيب.

اعتداءات وتهديدات وأعمال قتل

■ **هل تعرضت شخصيا أو أحدا من زملائك للاعتداء؟**

لم أتعرض لاعتداء بدني حتى الآن لكنني وزملائي كثيرا ما نتعرض للتجاوزات اللفظية وهي تجاوزات يمكن أن تتطور لعنف بدني في أية لحظة.

■ **لكنكم كأطباء تقدرون الموقف وتتسامحون، أليس كذلك؟**

غالبا لا يكون هناك حل سوى ذلك، مع غياب جهاز أمني قوي يمكنك اللجوء إليه ليحميك. وبالتالي، أنت مضطر لمسايرة الأمور.

■ **هل تعرضت أنت أو أي طبيب من زملائك بهذه المستشفى أو غيرها لتهديد أو اختطاف أو مشاكل من هذا النوع؟**

نعم، فأحد الأطباء ممن زاملتهم في الجامعة اختطف أخوه وتعرضت عائلته أيضًا للتهديد فاضطر إلى مغادرة العراق. وهناك طبيب آخر تعرفت عليه في إحدى المستشفيات في المناطق المتوترة في بغداد وطُلِب منه القيام بمعالجة جريح عراقي وجريح آخر أميركي. وقد عولج الأميركي وخرج، أما العراقي فكانت حالته خطيرة وتوفي بين أيدي الطبيب. ولاحظ المراجعون أن المريض الأميركي شفي وأن المريض العراقي مات، فاجتمعوا عليه وأوسعوه ضربا وركلا إلى حد أنه أصيب بانهيار نفسي واضطر إلى ترك الطب حاليًا بسبب الحادثة التي مر بها.

■ **كم من الأطباء ممن تعرفهم شخصيا غادروا العراق أو قتلوا أو اضطروا إلى ترك العمل؟ ما هو الرقم تقريبا؟**

أعرف اثنين لم يتعرضا للاغتيال بل قتلا في حوادث أمنية في مدينة الصدر. أما فيما يتعلق بالذين غادروا العراق، فأعرف شخصيًا حوالي خمسة عشر طبيبا تركوا البلد بسبب الوضع الأمني بالإضافة إلى الوضع الاقتصادي المتدهور وكذلك الوضع العلمي. فلا توجد أمام الطبيب فرص لتطوير نفسه مهنيا ويضطر بالتالي للمغادرة.

مؤسسات تفتقد القدرة والتأهيل

بطبيعة الحال يحتاج أي بلد في العالم إلى مراجعة منتظمة لتأهيل مؤسساته الصحية ورفع كفاءاتها، فما بالنا والعراق تحديدا قد تعرضت فيه هذه المؤسسات إلى العمل في ظل ظروف شديدة التعقيد تخللتها ثلاث حروب وما يزيد على عقد من الحصار... لذا كان طبيعيا أن يتساءل المحاور عن مدى كفاءة المستشفى في ظل الأوضاع الراهنة:

■ **هل بوسع كفاءات العمل بالمستشفى مواجهة الحالات الطارئة التي تصلكم وماهي نسبة النجاح في ذلك؟**

سير العمل بالمستشفى متعثر جدا ولن أحكي عن الأسرة والخدمات التأهيلية، فنحن نفتقد أمورا أساسية مثل الأدوية الحيوية المطلوبة، ففي كثير من الحالات الضرورية نجد هذه الأدوية غير متوفرة وهي أدوية بسيطة وضرورية من ضروريات ألف باء العمل العلاجي. كذلك نعاني من غلق عدد من الردهات في المستشفى، كردهات الأطفال والباطنية. وكما تعلم مدينة الصدر مدينة ضخمة تعج بأعداد هائلة من السكان، وهؤلاء تخدمهم ردهة باطنية واحدة وردهة جراحية واحدة ولك أن تتخيل حالة التزاحم على هذه الردهة ومدى تقصير الخدمات.

■ **كم عدد الأسرّة في المستشفى؟ هل تكفي؟ وما هي نسبة الانتظار في الحالات التي ترد لكم؟**

ثمة حوالي 20 سريرا في ردهة الطوارئ ولست مطلعا على العدد في باقي الردهات. لكنني كنت أعمل سابقا في مستشفى بمدينة الصدر أيضا تسمى القادسية وهي المستشفى الوحيدة التي بها ردهة باطنة في المدينة، وكان عدد أسرّة الانعاش بها ثمانية أسرة فقط لخدمة مليوني نسمة.

■ **تكلمت عن النقص في الأدوية والمستلزمات الطبية، ماذا عن المواد الأخرى مثل الطعام والمياه الصالحة للشرب داخل المستشفى؟**

هذه المواد نفتقدها، فالأطعمة المجهزة من النوعية الرديئة جدا، حتى طعام الأطباء رديئ، أما المياه فهي في أغلب الأحيان غير صالحة للشرب.

مساعدات تصل ولا تصل

■ **هل تتلقون مساعدات من جهات غير حكومية مثل الهلال الأحمر، واللجنة الدولية للصليب الأحمر، ومنظمة الصحة العالمية؟ هل هناك تحسن بسيط وهل في المستقبل ما يبشر بخير؟**

في حدود علمي تصل مثل هذه المساعدات. ولكن في السابق، كان الوضع أفضل. في تقديري أنه بسبب الوضع الأمني الحالي والإجراءات البيروقراطية، الأداء الطبي في انحدار. فلم يمر الوضع الصحي بالعراق بمرحلة مشابهة أبدا.

■ **أنت غير متفائل إذن؟**

بل متشائم جدا.

■ **هل لديك اقتراحات لتحسين الأوضاع؟**

قبل كل شيء لابد أن يكون التعيين في وزارة الصحة على أساس الكفاءة العلمية. فمن الضروري التعامل مع وزارة الصحة كوزارة علمية خدمية تتطلب كفاءات خاصة. وثانيا إعادة الاعتبار للطبيب. وثالثا، كانت هناك سياسة في السابق أثبتت جدارتها ويمكننا أن نستلهم منها وهي سياسة "التمويل الذاتي". وثمة ضرورة لتطوير الواقع العلمي وإرسال بعثات للخارج. لكن القضية الملحة هي ضرورة حماية الأطباء خصوصا الكوادر المتخصصة العليا لأنها ثروة لا يمكن تعويضها أبدا.

التوثيق الطبي

إن ما يقض مضاجع المتابعين لما يجري في العراق هو مشاهدة نتائج دوامة العنف التي تطحن هذا البلد، ومن بينها مشاهد الجثث التي يعثر عليها ملقاة هنا وهناك، بعضها مجهول الهوية، فهل هناك في هذه الفوضى من يتابع ويوثق ويحقق للحفاظ على حقوق الضحايا؟ وما هي مسؤولية المؤسسة الطبية عن ذلك؟ وهو ما كان موضع تساؤل محاورنا مع الطبيب:

■ **هل لديكم سجلات تشخيص وتقييم لأوضاع الحالات التي ترد إليكم ويمكن الرجوع إليها للمحافظة على حقوق الضحايا؟**

التوثيق الطبي في عموم العراق ليس جيدا، خذ مثلا حادث جسر الأئمة منذ سنة ونصف. فقد تم إعلان أن عدد الضحايا ناهز الألف، ولكن ما حدث، وتداولته بعض الشائعات التي سرت بين الأطباء، هو أن شهادات الوفيات التي قدمت على أنها لضحايا جسر الأئمة بلغت عشرة آلاف وثيقة وفاة. تصور أن هذا الخلل في •••

••• التوثيق قد ضاعف الرقم عشر مرات!

■ **بخصوص جثث من تعرضوا للتعذيب والقتل، هل تتسلمونها وهل تصدرون تقاريرا عنها ولمن تسلمون التقارير؟**

أكثر من مرة تسلمت جثثا تم قتلها بالأعيرة النارية في الرأس في مستشفانا وعادة ما يتم تسليميها إلى الشرطة لنقلها إلى الطب العدلي. فالمستشفى غير مسؤول.

■ **كيف يتم التوفيق بين عمل المستشفى الاعتيادي، وبين الحالات الطارئة التي تصل من ضحايا العنف؟**

في حال وصول عدد كبير من الضحايا، يحدث نوع من الارتباك في عمل المستشفى. والمرضى في الحالات الاعتيادية غالبا ما يغادرون المستشفى على عجل عند وصول أول عربات تحمل المصابين في انفجارات أو غيرها. فالكل ينشغل بالتركيز على هؤلاء المصابين ويهمل الحالات الاعتيادية. هذا هو الواقع.

■ **ما هي درجة تعاونكم مع المؤسسات الطبية الأخرى والتي تحيلون إليها أو تحيل إليكم حالات تحتاج لعلاج خاص؟**

أنا كطبيب ترد لي حالات توجب الإحالة إلى مستشفيات تخصصية فأحيلها وهم بدورهم يستقبلونها.

■ **هل تصلكم حالات للعلاج من أماكن الاحتجاز العراقية؟**

تأتينا حالات من مراكز الشرطة، وهي تأتي لمجرد كتابة التقرير الطبي وتعود ثانية. ولكن لا تأتينا أية حالات من السجون التي لها كادر طبي يتولاها.

■ **حدثني عن أكثر الحوادث التي شهدتها خلال عملك وأثرت فيك**

عند وقوع حادث جسر الأئمة وصلت امرأة في الخمسين مصابة بانهيار عصبي شديد وبالسؤال عن السبب عرفت أن أربعة من أولادها قتلوا في الحادث وقد أثر فيّ هذا المشهد تأثيرا بالغا.

■ **كطبيب، ومن خلال منظورك الإنساني، كيف ترى ما يجري الآن في العراق؟ وما هي توقعاتك؟**

ما يجري الآن في العراق جريمة. فما يحدث ينقل لك كيف أن البشر ينحدرون إلى مستوى من الإجرام، فهناك من يفجر، ويقتل النساء والأطفال، ويخطف على الهوية، ويقتل إنسانا لمجرد أنه يختلف معه في الرأي، أما عن تقييمي للوضع الإنساني كطبيب، فما يحدث مرعب طبعًا ولا يختلف عن أية حرب أهلية في العالم كما حدث في لبنان أو رواندا. إن الوضع مرعب من الناحية الإنسانية.

■ **وما الذي تتوقعه لمستقبل هذه الأوضاع؟**

أن تزداد الأمور صعوبة ولكن ما أتمناه أن يزرع الله سبحانه وتعالى السلام فهو فقط القادر على هذا الشيء بعد أن أفلتت الأمور من يد البشر ●

(حوار أجراه الدكتور علي طه ياسين من اللجنة الدولية للصليب الأحمر في العراق)

AFP

رجل أمن مسلح يقف بمدخل مستشفى اليرموك إحدى أكبر مستشفيات بغداد، لحمايتها من المسلحين الذين قد يهددون العاملين بالمستشفيات.

ICRC

النزوح داخل الوطن

لم تعد بيوتنا لنا. العنف الطائفي يكاد يقسم مناطقنا ومدننا وأحياءنا بين الطوائف. عندما يبدأ الفرز الطائفي، يشرع الناس في النزوح. إلى أين؟ إلى مخيمات النازحين هنا أصبح سكنانا.

كان من نتائج التدهور الأمني الذي يعانيه العراق أن شهد هذا البلد، ربما للمرة الأولى في تاريخه كما يؤكد العراقيون أنفسهم، اندلاع موجة من العنف الطائفي أدت إلى النزوح الذي تعرض له الكثيرون من مختلف مناطق العراق. هذا النزوح أشارت إليه وعلقت عليه وسائل إعلامية كثيرة، كما شاركت جمعية الهلال الأحمر العراقي في العمل على مساعدة هؤلاء النازحين من خلال تقديم المآوي والمساعدات التي تتطلبها حالاتهم.

وفي إطار ذلك، أصدرت الجمعية عددا من التقارير التي توثق وترصد هذا النزوح، كان آخرها هذا التقرير الصادر في العشرين من يونيو/حزيران 2006، والذي نعرض هنا مقتطفات منه.

"نظرًا للظروف الأمنية الراهنة التي يمر بها بلدنا العزيز والتي أدت إلى نزوح وتهجير أعداد كبيرة من العائلات من مناطق سكناهم إلى مناطق أكثر أمنا. وإيمانا من جمعيتنا بدورها الإنساني العريق في تقديم أفضل الخدمات الإنسانية التطوعية لأبناء شعبنا العراقي بكافة فئاته وأطيافه، قامت جمعيتنا بحشد كل الإمكانيات والقدرات المتاحة لخدمة ودعم الواقع الإنساني للعائلات النازحة من وإلى المحافظات العراقية من خلال فروعنا المنتشرة ومكاتبها عن طريق وضع البرامج والخطط في آليات الإغاثة لذلك الواقع".

وما ورد في الفقرة السابقة، هو مقدمة التقرير المشار إليه، وهو التقرير الذي يحمل عنوان "التحديث السابع" ويتضمن آخر الإحصاءات عن عدد العائلات العراقية التي اضطرتها أحداث العنف إلى النزوح من مواطن إقامتها إلى مخيمات اللجوء في محافظات العراق المختلفة.

إحصاءات دالة

يورد التقرير في طياته أرقاما مفجعة، ففي هذا التحديث الذي تم من الأول من يونيو/حزيران 2006 وحتى العشرين من نفس الشهر، بلغ عدد العائلات التي اضطرت للنزوح أربعة عشر ألفا وثمانمائة وواحد وثمانين عائلة، وهي عائلات تتكون من ستة وعشرين ألفا وستمائة وثمان وخمسين رجلا، واثنين وثلاثين ألفا وثلاثمائة وواحد وعشرين امرأة، وثلاثة وأربعين ألفا وستمائة وثلاثة وأربعين طفلا، ونقلا عن هذا التقرير ما تزال هذه الأرقام تتزايد ومن المتوقع أن يصل عدد العائلات النازحة بالعراق إلى عشرين ألف عائلة.

بطبيعة الحال يستعرض التقرير المحدث حجم التنفيذ والمتابعة وبيان المؤشرات التي توضح حجم الاستجابة المقدمة من قبل الهلال الأحمر العراقي والتنسيق مع وزارات الدولة كافة.

وقد تم الحصول على هذه المعلومات وتحديثها، كما ذكر التقرير، من قبل منسقي قسم إدارة الكوارث والمنتشرين في فروع ومكاتب الجمعية الموجودة في جميع محافظات القطر. أي أنها كلها معلومات ميدانية من أرض الواقع ناتجة من أعمال مسح وتقييم وتقارير فرعية رصدت أعداد العائلات التي تسكن المخيمات والعائلات التي تمت استضافتها لدى عائلات أخرى، وكذلك العائلات التي لجأت إلى بعض المباني الفارغة لتجعل منها مقرا لنزوحها.

كما لاحظ التقرير أيضا أن المسألة من التعقيد بحيث تستدعي محاولة الوصول إلى معلومات أخرى تتضمن معرفة أكبر نسبة من العائلات النازحة أثناء إجراءات المسح بهدف التواصل مع أكبر نسبة من المستفيدين لتغطية احتياجاتهم وتدارس متطلباتهم المستقبلية.

ونحن في «الإنساني»، إذ ننشر هنا صورا لبعض صفحات هذا التقرير، نذكر مجددا بأن هذا النزوح الكثيف للعائلات الناتج عن فقدانها للأمن في أماكن إقامتها يضفي على المشهد الإنساني الراهن بالعراق مزيدًا من القتامة في ظل الأوضاع الأمنية الراهنة، كما نؤكد على مواصلة اللجنة الدولية للصليب الأحمر دعمها ومساندتها للشعب العراقي في محنته، سواء من خلال قيامها بزيارات المحتجزين والعمل على إعادة الاتصال بينهم وبين عائلاتهم، أم في تنفيذها لمشاريع تخدم السكان المضارين، أم في دعمها وتنسيقها مع جمعية الهلال الأحمر العراقي من أجل الوصول إلى كافة الضحايا في هذا البلد المنكوب ●

القتل على الهوية

AP

أي متابع لبعض مظاهر الحياة وبعض أسباب الموت في العراق يجد أن مشاهد القتل لم تعد تثير استغراب العراقيين أو دهشتهم بعد أن أدمنوا مرأى الدم وهو يسفح، من غير محاكمات ولا شهود ولا مرافعات! فهذا ما آل إليه الحال في بغداد عاصمة الرشيد التي كانت ذات يوم لؤلؤة العالم، وكعبة العلماء، ومركز الحضارة والتحضر، وجمجمة العرب!

قتل بلا تهمة أو جريرة !

مسقط الرأس والاسم باتا العلامة الفارقة لتمييز السني عن الشيعي في العراق، وإن تعذر على فرق القتل والموت تبين هاتين العلامتين فإن أفرادها يلجأون إلى السحنة واللهجة أو إلى بضعة أسئلة يستطيعون من خلالها أن يتبينوا ما إذا كان ضحيتهم سنيًا أو شيعيًا، فإن كان شيعيًا ومستجوبوه من السنة نحر أو قطع رأسه، وإن كان سنيًا ومستجوبوه من الشيعة ذبح أو غيب، وفي الكثير من الأحيان فإن الضحايا ليسوا سنة ولا شيعة لا من حيث المعتقد ولا من حيث الانتماء وكل جريرتهم أنهم ولدوا من آباء سنة أو انحدروا من عائلات شيعية، بل إن بينهم من يسأل عن مذهبه فلا يعرف عنه شيئا فيقتل لجهله، فيما يقتل آخرون بتهمة الاسم ثم يتضح أن الاسم لا يدل على الانحدار المذهبي فهناك الآلاف من سنة العراق يحملون اسم حسين وعلي وحسن وباقر ومثلهم من الشيعة من يحملون أسماء عمر وعثمان وبكر لكن سيف الانتقام لا يتبين ولا يمهل ولا يرحم!

ربيعة وشمر وعبيد!

في عشيرة ربيعة العراقية العريقة هناك سنة وهناك شيعة، وربيعة التي قتل من أفرادها الكثير بتهمة التسنن كانت من بين أكثر القبائل نصرة للإمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه– حتى نسب له القول:

يا لهف نفسي على ربيعة
ربيعة السامعة المطيعة!

وينسب الطبري للإمام علي قوله في ربيعة أيضا:

جزى الله قوما صابروا في لقائهم
لدى الموت قوما ما أعف وأكرما
ربيعة أعني إنهم أهل نجدة
وبأس إذا لاقوا جشيما عرمرما

ولا تختلف شمر عن ربيعة ومثلهما عشيرة «عبيد» التي تجمع بين بطونها السني والشيعي الذين عاشوا وتعاشروا وتصاهروا لعقود طويلة قبل أن يطل عصر الفصل العنصري الذي فرق بين الأعمام والأحبة وجعل الدم العراقي رخيصا بدعوى الاختلاف

د. حميد عبد الله*

الطائفي والتباين المذهبي!

نعم، لقد بات الاسم تهمة في العراق اليوم فالفصل الطائفي لم يتوقف عند حدود التهجير القسري والتطهير الطائفي بل امتد إلى أسماء الناس ليجعل منها سببا للقتل! فهذا سفيان طالب في قسم الحاسبات في كلية الرافدين الجامعة، رأى والده الذي يعمل صحفيا منذ نصف قرن أن استمراره في الدراسة سيعرضه لموت محتم، فأنهى علاقته بالكلية أولا، ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل رأى الوالد أن ابنه سيقتل بمجرد أن يكتشف «المستجوبون» أن اسمه سفيان ومثله اضطر عبد الحسين الذي يدرس في إحدى كليات جامعة الأنبار أن يطلب نقل دراسته إلى الجامعة المستنصرية لان اسمه بات يشكل تهمة خطيرة له!

وعلى وفق هذا التقسيم والتمييز قتل في العراق المئات من العراقيين لا لجريمة اقترفوها ولا لجناية تلبستهم بل لأن أسماءهم تدل، خطأ، على انتماء مذهبي أو طائفي!

ولكي يجنب العراقيون أنفسهم القتل على الاسم اضطر بعضهم إلى تزوير بطاقاتهم الشخصية أو إلى حمل أكثر من هوية، ففي المناطق السنية يبرز العراقي هوية تروق لأفراد تلك المفارز هناك، وفي المناطق الشيعية يبرز الهوية الأخرى! والأخطر من كل ذلك أن دخول ابن الأعظمية إلى مدينة الصدر أو دخول ابن الشعلة إلى الأعظمية بات محفوفا بالمخاطر، خاصة إذا شاءت الصدفة السيئة أن يكتشف اسمه أو انحداره وباتت هناك مفارز تستجوب الداخلين إلى هذه المدن ولا أحد يعلم بأية جهة ترتبط هذه المفارز وممن تتلقى توجيهاتها!

أين نحن من وفاء النعمان للصادق؟

ومن المفارقات التي ربما يجهلها الكثيرون من عامة السنة والشيعة هي أن الكوفة التي كانت عاصمة للإمام علي بن أبي طالب في العهد الراشدي لم تشهد ولادة المذهب الشيعي بل شهدت ولادة أنضج المذاهب السنية وأكثرها اتساعا وهو المذهب الحنفي!

وبدلا من أن يستحضر بعض رجال الدين الشيعة والسنة ما قاله الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان وهو يذكر بفضل الإمام جعفر الصادق عليه «لولا السنتان لهلك النعمان» ويعني بهما السنتين اللتين تتلمذ فيهما على يدي الصادق فضلا عن وفاء أبي حنيفة لزيد ابن علي في ثورته الفذة ثأرا لجده الحسين، وبدلا من أن يذكروا عامة السنة والشيعة بأن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– صلى وراء أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب بدلا من أن يستذكروا ذلك ويذكروا به راحوا يرددون ما كان يقوله علي بن الجهم في هجاء الإمام علي بن بي طالب وما يقوله دعبل الخزاعي في هجاء ابن الجهم، ويستذكرون ما كان يحدث في بغداد في العصر البويهي حين شهدت عاصمة الرشيد لأول مرة طقوس عاشوراء ووقتها كانت ثمة غوغاء طائفية تخرج بتوجيه من رجال دين منغلقين لتخريب تلك التعازي والطقوس فيشتعل الحريق بسبب الاستفزاز والاستفزاز المقابل، وبسبب تلك الاستفزازات كان يتساقط المزيد من الضحايا وتبتكر في الوقت نفسه المزيد من المزارات يبتكرها الطرفان لتكون مراكز استقطاب لكلتا الطائفتين، وبهذا ابتعد الكثيرون عن روح الإسلام وآصرة الأخوة والدم وعن خيمة الوطن الواحد والأمة الواحدة بل وربما العشيرة الواحدة والقبيلة الواحدة!

عودة إلى نادر شاه ومراد الرابع

تقارير منظمات المجتمع المدني في العراق أكدت في مجملها بأن العراق لم يمر طيلة تاريخه القديم والحديث بحالة من الفصل الطائفي والعنصري كما يمر به اليوم إلى حد تجاوز فيه القتل على الهوية إلى القتل على الاسم الذي يدل على الانتماء الطائفي حتى لو كان خطأ!

قالت منظمة حرية المرأة العراقية في تقرير أصدرته في بغداد أن ما يحدث اليوم في العراق يشبه إلى حد كبير ما كان يجري في عهد نادر شاه الصفوي ومراد الرابع العثماني يوم كان الأتراك يهدمون المراقد الشيعية ويهدم الصفويون بالمقابل المراقد السنية، لكن التقرير نفسه أشار إلى حالات تجسدت فيها نخوة العراقيين بأنصع وأبهى صورها يوم أخفى السنة أعدادا من الشيعة أراد مراد الرابع إبادتهم، وقد فعلوا ذلك بدافع الحمية الإنسانية والدينية والوطنية، ومثله فعل الشيعة حين أراد نادر شاه إبادة أعداد من السنة، فهل يكرر شيعة العراق وسنته ذلك الإيثار ويقفون صفا واحدا بوجه التحديات التي تواجه بلدهم ويستلهمون من دروس الوطنية العراقية العبر التي تجعل المواطنة هي الهوية العليا للعراقي وما دونها من انتماءات وهويات وولاءات هي الأضيق، وأن يضعوا أمام ناظريهم حقيقة ثابتة لا تتغير وهي أنه: (دون المواطنة لا وجود للوطن ولا كرامة للمواطنين)! ●

(*) كاتب صحفي وأستاذ للتاريخ بجامعة بغداد

فنون العراق وحضارة الرافدين

شهادة فنان تشكيلي عراقي

محمد غني حكمت*

المنورة: محمد غني حكمت

في بغداد بناية تقع بشارع حيفا (هي مركز صدام للفنون)، افتتحت في بداية الثمانينيات، وكانت تحوي 8000 قطعة فنية من نحت ورسم وتخطيط وحفر وسيراميك لفنانين عراقيين وعرب وأجانب موزعة على أربعة طوابق: ففي الطابق الأرضي مخزن كبير للأعمال الفنية، وقاعتان كبيرتان للعرض، وفي الطابق الثاني كان متحف الروّاد للفنانين العراقيين الروّاد، فيه أعمال نادرة تعود للقرن الماضي، وكان فيه أيضا متحف خاص للفنان الرائد فائق حسن وفيه أعمال من بداية الثلاثينيات في باريس، وفي الطابق الثالث كان متحف خاص للنحات محمد غني وفيه أعمال يعود أقدمها إلى 1946، وكان يضم أيضا متحفا للفنانين العراقيين عامة من رسم ونحت وحفر وسيراميك. وفي الطابق الثاني كانت هناك مكتبة عامرة بالكتب والمجلات الفنية وأرشيف خاص عن الفن العراقي وعن الفنانين العراقيين، به أفلام وصور مسجّلة كانت تعرض في صالة السينما المجاورة للمكتبة. وكان المركز يقيم فعاليات ثقافية من محاضرات ومعارض عالمية لفنانين أجانب ومعارض لفنانين عراقيين. كان مركزا حضاريا لا يضاهيه مركز فني في كل عواصم الدول العربية، لامن حيث الشكل ولا المضمون.

الصدمة والصمت

رجعت إلى بغداد، بعد ثلاثة أشهر من الغزو وسقوط النظام، ولا يمكن وصف حالي وأنا أتجول في "المركز" صامتا وأرى أن كل ما عملته خلال سبعة وخمسين عاما من تماثيل ومنحوتات قد تهشمت وسرقت، وبقيت منها قطع صغيرة على الأرض، تجولت صامتا. كان هذا المتحف مدرسة ومرجعا تاريخيا للنحت العراقي.

رأيت الكثير من اللوحات الفنية المسروقة موجودة في الأسواق وتباع بسعر زهيد من الدولارات في «سوق هرج» والأسواق المجاورة للمركز، وتجمعنا أنا والبعض من الفنانين من طلبتي النحاتين، وبشكل خاص بدأنا نشتري ما نتمكن من دفعه بالدولارات، صورا زيتية ومنحوتات، وتمكنا من شراء قطعة فنية من الخشب (أم وطفل) لرائد النحت العراقي جواد سليم بمبلغ 200 دولار...

ولم نعد نتمكن من الشراء..

فقابلت المسؤول الأمريكي عن الثقافة وكان إيطالي الأصل، فحدثته بالإيطالية عن وضع الفن واللوحات المسروقة ورجوته أن يقرضنا مبلغا لشراء المسروقات. فقال إن القانون الأميركي لا يسمح بشراء المسروقات من اللصوص. وقابلت مسؤولين أمريكيين وكنت مع مجموعة من الفنانين العراقيين، ورجوتهم أن يساعدونا ماليا لشراء الأعمال الفنية المسروقة، ولكن لم أحصل على جواب، وقابلت وزير الثقافة العراقي وكررت الرجاء ولكنه اعتذر ولم أحصل على جواب.

ثم خطرت لي فكرة أن أتصل بمحبّي الفن، على قلتهم، من الأصدقاء من بغداد، وطرحت عليهم فكرة: أن يعطيني أي منهم أي لوحة مسروقة، وأعطيها له ليعلقها في بيته، وليوقّع على ورقة يتعهد فيها بإرجاع اللوحة عند تأسيس المتحف الجديد للفنون التشكيلية، وأوقع أنا على ورقة أتعهد بأن نكتب اسمه على لوحة جدارية تكريمية في مدخل المتحف الجديد.

تم قبول الفكرة وجمعنا مبالغ من الدولارات وبدأنا نشتري ما نعثر عليه من اللوحات دون تمييز بين الفنانين، وفعلا تمكّنا من جمع حوالي أكثر من مائة وأربعين عملا فنيا من المسروقات، وأخبرنا وزارة الثقافة العراقية بذلك.

وأثناء تجوالي خارج العراق وإلقاء المحاضرات كنت أدعو الحاضرين للمساهمة في هذا العمل الثقافي، كما كنت أكتب في الصحف داعيًا المتاحف وجامعي التحف وأصحاب القاعات ألا يشجعوا شراء الأعمال المسروقة وإخبار وزارة الثقافة بها، كما كنت أدعو في الصحافة إلى المراقبة الجادة على الحدود بين العراق والبلدان المجاورة.

ولكن مما يؤسف له أن بعضًا من ضعاف النفوس من الفنانين العراقيين ساهموا في شراء الأعمال المسروقة وتهريبها إلى خارج العراق لبيعها بأسعار خيالية، وخاصة أعمال الفنانين الروّاد.

بدلا من التحطيم والسرقة

لقد تم تحطيم بعض النصب والتماثيل في مدينة بغداد. وكان الأجدر هو رفعها والاحتفاظ بها في المتاحف بدل تحطيمها، وكذلك تمت سرقة تمثال لي من البرونز بارتفاع 2,5 متر يمثّل نافورة اسمها «الكرخية» في حوض أمام وزارة السياحة في شارع حيفا، كما تمت سرقة الكف لليد اليمنى لتمثالي "شهريار" الموجود في شارع أبي نواس.

آمل ألا تتكرر السرقات ولا يتكرر تحطيم التماثيل، لأنها تمثل رمزا حضاريا للعراق وتاريخه.

لقد حزنت كثيرا عند سرقة منحوتات وتدمير مركز صدّام للفنون ورأيت بغداد مدينة مجروحة تنزف قهرا، ودور الكتب والنشر وهي خربة، والعاصمة وقد قطعت جسورها بين الرصافة والكرخ. كانت بغداد تئن من نزيف الألم من سقوط آلاف الأطنان من الصواريخ الحارقة والقنابل العنقودية.

ما جرى كان أشبه بالكابوس، لا يمكن للإنسان أن يصدّق لماذا يقتل الإنسان ولماذا تدّمر الحضارات والمدن. لهذا كانت بغداد مستلقية بجوار نهر دجلة تئن أنينا حزينًا، إنها مصابة بجروح غير مميتة، إنها لم تسقط ولم تمت.

سوف تشفى بغداد، وسوف نحضّر أوراقها من جديد، أنا أشبهها مثل عشب الحديقة الخضراء، عند قصه بالماكينة، يرجع لينمو ثانية أخضر زاهيًا. وهكذا العراق، وسوف يزدهر ثانيةً، علمًا وفنًا وثقافة لتستمر حضارة وادي الرافدين ●

ما جرى كان أشبه بالكابوس، لا يمكن للإنسان أن يصدّق لماذا يُقتل الإنسان ولماذا تُدمّر الحضارات والمدن.

(*) نحات عراقي

• ولد **محمد غني حكمت** في بغداد عام 1929؛

• تخرج من معهد الفنون الجميلة فرع النحت – بغداد 1953 ومن ثم من أكاديمية الفنون الجميلة في روما 1958؛

• أقيم جناح خاص لأعماله الدائمة (حوالي 150) في مركز صدام للفنون سابقًا، وقد تعرضت كلها للسرقة والكسر والتدمير في نيسان 2003؛

• أنجز حوالي ثلاثين عملًا نحتيًا من النصب التذكارية والتماثيل والنوافير واللوحات الجدارية في الهواء الطلق، بعضها في أوروبا والعالم العربي، لكن أغلبيتها الساحقة في العراق وبالتحديد في بغداد؛

• من أهم أعماله في بغداد: تمثال برونز لأبي جعفر المنصور، تمثال برونز للملك حمورابي، تمثالان برونزيان لشهريار وشهرزاد، تمثاله "كهرمانة"، تمثال من المرمر للإلهة عشتار، تمثال برونز للشاعر المتنبي، نافورة من البرونز "الجنية والصياد"، نافورة من البرونز "بساط الريح".

• نجت جميع أعمال محمد غني، المعروضة ببغداد، من السرقة والتدمير، باستثناء عملين هما: "الكرخية" في بغداد، و«شهرزاد وشهريار» إذ قطعت يد شهريار ●

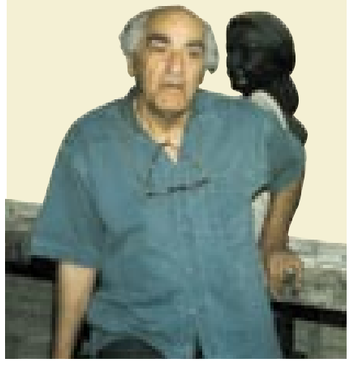

العراق: ثقافة الدم، ودم الثقافة

عند بوابة الطب العدلي، كان يأتي كل يوم ومعه تابوت، بأمل أن يعثر على جثة ابنه الذي اختطف، ليأخذها معه إلى البيت قبل المقبرة!

AFP

1• جبن الثقافة

يتحول القلب إلى دمعة.. الدمعة تكبر، أشعرها ستغرقني ويرن الهاتف وأطوف مع الدمعة، ترى من يكون وماذا سيبلغني من أخبار يكون الموت محورها؟

وصوت صديقة فاجأتني بوجودها في بغداد وكانت قد غادرت إلى نيوزيلندا بأسابيع بعد الغزو وفاجأني أكثر سبب المكالمة وكان الدعوة لحضور عرض موسيقي للصديق عازف التشيللو المتميز كريم وصفي، يشاركه شاب متميز بالعزف على البيانو كما أكدت أنعام واسمه أحمد.. والعرض في الحادية عشرة صباح اليوم التالي. تذكرت أن آخر عرض فني حضرته كان للفنان العراقي المغترب طلعت السماوي في خريف 2003.

سحبتني الدعوة إلى عالم كدت أنساه، عالم السكينة وعدم الخوف، وأدهشتني أنعام بعودتها وعملها في المجال الثقافي علّها تقنع نفسها بالبقاء في العراق..

الثقافة، هل تستطيع أن تغير لون الدم وتحول الدمعة إلى بالونة فرح؟

كان الصديق المهندس جمال جميل يجلس أسبوعيا في مقهى الشابندر يتحدث بالسياسة وبالكتب الصادرة حديثا وبعراق الغد.. كان مقهى الشابندر يتحول كل يوم جمعة إلى مهرجان ثقافي، وحدث أن تغيبت في جمعة ما في يونيو/ حزيران 2004 ويوم الجمعة الذي أعقب غيابي وجدت صورة ملونة لجمال علقت قرب المقعد الذي تعود الجلوس عليه وحين اقتربت من الصورة وجدت كلمة "الشهيد".. وعلمت بأنه استشهد قبل 10 أيام برصاصة طائشة للاشتباه!! كم صديقا غادر مكانه في المقهى بسبب رصاصة وبسبب شظية وبسبب توقف قلبه الذي لم يعد يتحمل؟

تعبت من تذكر الأسماء وتركت موعدي الأسبوعي في المقهى منذ أشهر.

...

يقولون إن رأس المال جبان؟

وفي العراق أثبتت الثقافة أنها جبانة، ربما يكون المثقفون، أو بعض منهم، جعلوها جبانة، وربما هي الظروف التي جعلتها جبانة!! فلا يزال في العراق من يكتب ومن يصور فيلما ومن يقيم معرضا أو ينشر رواية وقد تجد ممثلا منشغلا بتصوير مسلسل جديد أو ناقدا يدير ندوة في مقهى الجماهير أو في اتحاد الكتاب والأدباء، ولكن في المحصلة يسود لون الدم والأسود الذي يغطي كل جدران بغداد والمدن العراقية الأخرى معلنا عن الشهداء، وهم بالمئات شهريا وبينهم، دائما، أكاديميون وصحفيون وأصحاب شهادات.. وبإصرار يتسلل الموت إلى الأحاديث والمعارض والمسرحيات والقصائد..

فهل تستطيع الثقافة أن تتجاوز أطنان الأسلاك الشائكة والحواجز الخرسانية، وسيارة قد تنفجر في أية لحظة؟

لا جواب!.

من يعيد زرع القيم وتعبئة العراقيين نحو الخير؟

لا جواب أيضا!

ومن يريد أن يكتب الحقيقة عليه أن يغادر العراق قبل أن يغيبوه رغما!

2 • الحل الذي غادرنا

في لحظة توفر التيار الكهربائي، أحاول البدء بالكتابة. صوت الطائرات العمودية يصر على سحبي منها. ويبدأ صوت إطلاق نار قريب وبعيد. أحاول هذه المرة أن أخمن من شدة الصوت إن كانت الاشتباكات قريبة أو بعيدة. وقبل أن أعود إلى الكتابة ينقطع التيار الكهربائي..

يرن الهاتف.. ويأتيني صوت حسن، الصحفي والأب لبنتين وولد، حائرا.. فقد أخبره أحدهم بأنه قرأ اسمه في قائمة نشرها موقع ما على الانترنت ضمن أسماء صحفيين مرشحين للقتل! يسألني عن الحل؟

ـ أي حل؟ أجيبه،.. العراق كله يبحث عن الحل الذي غادرنا..

يقول:

ـ طوال عمري الصحفي وأنا أكتب في مجال الثقافة وأنشر شعري.. لا أعرف ما هي تهمتي.. لمن أشكو وأين أذهب؟

مرة أخرى لا أجيب..

لقد حولت الظروف العصيبة التي مر بها العراق منذ 1990 ولحد الآن عشرات الصحفيين والمراسلين غير العراقيين وعددًا محدودًا من العراقيين إلى نجوم.. في سنوات الحصار كانت دمعة أم تودع صغيرا مضى بسبب نقص الدواء والغذاء تجعل من مراسل مغمور نجما، لكنه كان بعدها يغيب ولا يرجع أبدا ليمسح تلك الدمعة التي صنعته.

3 • ويتوالى ورود الجثث

أمام بوابة الطب العدلي وقفت في الموعد نفسه الذي سيبدأ به كريم عرضه الموسيقي. كان الشارع القصير نسبيا الذي تقع فيه بناية الطب العدلي مزدحما. وجذبني حديث أب يأتي باحثا عن ابنه منذ أسبوعين، كان يأتي دائما ومعه التابوت ليأخذه إلى البيت قبل المقبرة. كان إسماعيل يتحدث عن ابنه أحمد بألم، فقد أخذوه من البيت دون أن يعرف السبب، في ليلة تم فيها أخذ عشرة شبان من الحي نفسه. وجدت جثث تسعة منهم في موقع واحد من بغداد وعليها آثار تعذيب إلا جثة أحمد.. كان الحاج يونس يطلب من اسماعيل معروفا: أن يعطيه التابوت ليحمل ابنه الذي وجده.. وقال الحاج، "جئت دون تابوت، فقد تشاءمت من الفكرة آملا ألا أجده وخاب أملي ووجدته وقد شوهه التعذيب وفجرت خمس رصاصات رأسه!". وافق إسماعيل ولكن كان عليه أن ينتظر حتى انتهاء الدوام الرسمي، موعد يأسه اليومي من العثور على ابنه.

هو لا يكف عن البحث مع ورود كل وجبة جديدة من الجثث؛

وبانتهاء الدوام الرسمي، يمضي ومعه المتجمعون المفجوعون؛

ويتوالى ورود الجثث!.

لماذا يخطف الشباب ويقتلون؟ يسأل الحاج يونس وقد جمدت الصدمة معالم وجهه، ولماذا القتل بهكذا وحشية؟ يسأل مرة أخرى. من يجيبه؟ لا أحد..

هنا أمهات متشحات بالسواد وآباء جمدت أدمعهم، ينتظرون ويفتشون في الثلاجات التي ضاقت بعدد القتلى ويمعنون النظر في صور لجثث بلا ملامح لقتلى تم دفنهم على أساس كونهم مجهولين..

يقول إسماعيل: "في السابق كانت الجثة تبقى محفوظة في ثلاجة الطب العدلي لأشهر، ولكن وبسبب تزايد عمليات القتل أصبح المسؤولون يصرحون بدفن جثث القتلى خلال أيام فقط.. ويقول بأن في مقبرة المجهولين في النجف الأشرف يرقد أكثر من 30 ألف مجهول.. ومن يجد صورة ابنه أو من يشبه ابنه يأخذ رقم القبر ويذهب ليكتب عليه اسم القتيل الذي ربما على هذا النحو لم يعد مجهولا..

4 • ثقافة الدم

للدم ثقافة تختلف تماما عن أية ثقافة أخرى.

تغيرت قيم الشارع. الكل يخاف الكل. في أية لحظة يرفع أحدهم سلاحه ويقتل من توقع أنه زاحمه في الطريق.. والطريق مليء بالعبوات والحواجز وأرتال أمريكية ومركبات رباعية الدفع وفقراء..

كان الفقراء سابقا يتجمعون قرب الإشارات المرورية لبيع بضائعهم البسيطة لحظة يشتعل الضوء الأحمر..

اليوم لا إشارات مرور في بغداد، والفقراء بدل أن يبيعوا بضائعهم البسيطة يموتون..

هم أكثر من يموتون في العراق، في حوادث العنف وما يليها من إطلاق نار.

للدم شهوة الاستمرار، ويجد دائما ذرائع لهذا الاستمرار، لكن من يقنعه بالتوقف؟ إنه المثقف الذي عليه واجب الإرشاد وقول الحقيقة.

ولكن!

5 • رماد يملأ القلب

صباحا، وتلاميذ المدرسة القريبة يقتربون من بنايتهم، يمر رتل لمركبات الشرطة ولتفادي التوقف يطلقون النار!!

ويسيطر الذعر على الصغار ويندفعون يمينا ويسارا وبعضهم يقع وتتبعثر دفاتره وكتبه وأحلامه..

أحلام؟ والموت أسهل من الحلم في العراق! صغار تغادرهم الابتسامة وأمهات يتعبهن القلق وآباء قد لا يعودون إلى البيت..

ومثقفون يجتمعون بعيدا عن بغداد ويناقشون الشعر والرواية ويستمعون إلى موتسارت ويبتعدون عن مناقشة الواقع ووضع بعض حل له. المثقف موقف إن أضاعه أضاع ثقافته حتى وإن استمر يكتب ويتبجح..

هؤلاء «مثقفون» يذبحون الثقافة التي أفهمها: أن أعيد زرع القيم في الشارع والمدرسة، أن أبعد الخوف، أن أبشر بالغد وأن أروي النخلة.. ما معنى أن يقبل المثقف بدور مستشار لمسؤول كبير، رغم إصرار هذا المسؤول أن يبقى مبتعدا عن الشارع وحين يتحدث يبدو وكأنه في كوكب آخر تأكيدا على أن المثقف ـ المستشار يحدثه بما يسره ليستمر مشهد الخراب.

ليس عبثا أن يتم الإصرار على ترك دمار الحرب ورمادها في كل مكان.

الرماد يملأ القلب ويمنح طعمه ولونه للحياة. وإذ يحاول القصر العباسي على ضفة دجلة أن يستعيد بعض ليال وأماس ثقافية شهدها رغم الحصار، وأن يستعيد ذكرى حب العباسة أخت هارون الرشيد لمطرب هامت به وتحملت الإبعاد إلى الضفة الأخرى من النهر، يأبى الدمار المنتشر حوله استعادتها..

والدمار كان بناية تاريخية شغلتها وزارة الدفاع في يوم ما.. وقرب القصر ساعة فقدت كل شيء إلا عقاربها، أتخيلها قد تغادر الإطار في أية لحظة لتلدغ من يجرؤ على الحلم.

6 • هل أستطيع؟

وسينقطع التيار الكهربائي بعد دقائق وعليّ أن أتوقف عن الكتابة وأفكر بالغد، فهل أستطيع؟ ●

نرمين المفتي*

(*) كاتبة صحفية عراقية

فيما يظل خطر المزيد من الجفاف ماثلًا بالقرن الأفريقي عامة وبالصومال بصفة خاصة. اندلعت أعمال العنف المسلح بين الفرق المتخاصمة والميليشيات المسلحة في هذا البلد المنكوب، الذي يعد نموذجا للدولة المنهارة.

ويعاني الصومال من الحرب الأهلية التي فتكت بتماسكه كدولة منذ بداية تسعينيات القرن الماضي، تلك الحرب التي أدت إلى سقوط نظام سياد بري، وهو النظام الذي لم يحل محله نظام بديل في سدة الحكم، في ظل العجز عن تنصيب حكومة، وفي ظل انفصال الشمال وتقسيم باقي مناطق البلاد.

ومع تجدد أعمال العنف، منذ الثامن عشر من فبراير الماضي، بدأ النزاع يتخذ طابعا منفجرا فيما بين الميليشيات المتناحرة، ودارت اشتباكات سقط خلالها الآلاف من الجرحى الذين أصيبوا نتيجة القتال، إضافة إلى أعداد لم يتم التمكن من حصرها من القتلى.

في غضون ذلك، ومع بدء تصاعُد القتال في مقديشيو، قامت اللجنة الدولية بزيادة الدعم المستمر الذي تقدمه لمستشفى "كيساني" الذي يديره الهلال الأحمر الصومالي، ومستشفى "المدينة" الذي يدار من قِبَل المجتمع المحلي، ويعمل هذان المرفقان بلا كلل لإنقاذ الأرواح في ظروف بالغة الصعوبة. فيما تواصل أيضًا تقديمها للمساعدات الطارئة لغيرهما من المرافق الطبية في العاصمة الصومالية.

وقد ذكرت آخر التقارير أن جميع موظفي الرعاية الصحية في مقديشيو وموظفي اللجنة الدولية القادمين من نيروبي يعملون بلا كلل، في ظل أوضاع غير آمنة وغير مستقرة ساعين إلى إنقاذ الأرواح بالرغم من الظروف الصعبة التي يواجهونها.

وفي بيان لهما أعربت كلٌ من اللجنة الدولية للصليب الأحمر وجمعية الهلال الأحمر الصومالي عن قلقهما البالغ إزاء الآثار غير الإنسانية التي يمكن أن تخلفها الاشتباكات المسلحة العنيفة الدائرة في مقديشيو، وناشدت الهيئتان كافة الأطراف المتحاربة الالتزام بقواعد القانون الدولي الإنساني والاهتمام باستمرار، خلال سير العمليات العسكرية، بالمحافظة على حياة وكرامة جميع الذين لا يشاركون أو كفوا عن المشاركة في العمليات العدائية، ومنهم المدنيون والمقاتلون الأسرى والجرحى، إضافة إلى ذلك طالبت الهيئتان بإلحاح جميع أطراف النزاع باتخاذ كافة التدابير الممكنة لحماية أفراد الفرق الطبية والمرافق الطبية وسيارات الإسعاف المستخدمة لمساعدة الجرحى والمرضى.

وفي بيان لها أيضا، دعت الجامعة العربية الفصائل الصومالية المتحاربة إلى وقف القتال والحوار لتسوية مشكلاتها، و"إقامة حكومة فاعلة في الصومال". للخروج من الأوضاع المتردية فيه.

تطور إلى الأسوأ

وفي تطور ينذر بالسوء الشديد، استولى مقاتلون مسلّحون في التاسع والعشرين من مايو/آيار على مستشفى "كيساني" في مقديشيو على الرغم من النداءات المتكرّرة الصادرة عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر وجمعية الهلال الأحمر الصومالي والمطالبة بعدم التعرّض للمرافق الصحية، وكان المستشفى مميّزًا بوضوح بشارة الهلال الأحمر.

إثر ذلك، أعلن العاملون بالمجال الإنساني عن قلقهم البالغ بشأن مصير المرضى وأفراد الخدمات الطبية في "كيساني"،

ICRC / YAZDI, Pedram

REUTERS

الصومال: بين مطرقة الجفاف وسندان العنف المسلح

القانون الدولي الإنساني يحظر استخدام المستشفيات لتسيير الأعمال العدائية، كما أن حماية المرضى والجرحى تقع أيضًا محل القلب من مدوّنة قواعد القتال الصومالية التقليدية، المسماة "بيري ماغيدو". وهو ما قام بانتهاكه المسلحون الصوماليون.

إضافة إلى جميع الأشخاص الذين يحتاجون حاليًا للرعاية الطبية، ودعت اللجنة الدولية إلى انسحاب المقاتلين من المستشفى بأسرع وقت ممكن، كما أعلنت، أنه وفقا للقانون الدولي الإنساني، تقع على عاتق القوات المقاتلة مسؤولية تسهيل إجلاء المرضى إلى مرفق طبي ملائم وآمن، وتتعيّن حماية مبنى المستشفى ومعداته من التدمير والنهب، وأنه في زمن العنف المسلّح المكثّف هذا، تناشد اللجنة الدولية والهلال الأحمر الصومالي الأطراف المتحاربة مرة أخرى وبأقوى العبارات احترام وحماية أفراد الخدمات الطبية والمرافق الطبية والمركبات المستخدمة في نقل الجرحى والمرضى.

ومن شأن هذه العملية العسكرية أن تعوّق أكثر إمكانية وصول المصابين الجدد إلى المستشفى، الذي يعد المرفق الصحي الوحيد في شمال مقديشيو الذي يوفّر الخدمات الجراحية لجرحى الحرب، إذ يكتسي نقل المصابين إلى مرافق طبية أخرى في ظل الوضع الراهن طابعًا عشوائيًا.

وكانت الخدمات الطبية بالمستشفى قد انخفضت إلى حدها الأدنى، وجرى إخراج أغلب المرضى على عجل من المستشفى بمساعدة أقربائهم، وفي وقت متأخّر من المساء الذي صحب هذه العملية العسكرية وبقي 59 مريضًا في المستشفى تحت رعاية حفنة من أفراد الخدمات الطبية. ويحظر القانون الدولي الإنساني استخدام المستشفيات لتسيير الأعمال العدائية، كما أن حماية المرضى والجرحى تقع أيضًا محل القلب من مدوّنة قواعد القتال الصومالية التقليدية، المسماة "بيري ماغيدو".

خدمات لا تقدر بثمن

وكانت اللجنة الدولية قد افتتحت مستشفى "كيساني" في عام 1992 وسلّمته للهلال الأحمر الصومالي في عام 1994، وعلى مدى السنوات الخمس عشرة الأخيرة، قدّم المستشفى خدمات لا تقدّر بثمن لسكان الصومال، ومنذ بدء القتال في فبراير/شباط الماضي، تلقّى ما يزيد على 1700 شخص من جرحى الحرب ـ وهم يمثلون نسبة ضئيلة فحسب من مجموع المصابين.

من جانب آخر ذكر آخر تقارير اللجنة الدولية حول الأنشطة التي تقوم بها لمواجهة كارثة الجفاف في الصومال، أنه رغم تزايد إمداد المياه لصالح البشر والماشية على السواء عبر أنحاء الصومال، مما حثّ على ارتحال واسع النطاق للرعاة من ضفاف الأنهار والأراضي الزراعية إلى مناطق الرعي التقليدية في داخل البلاد، تواصل اللجنة الدولية للصليب الأحمر التركيز ـ بالتعاون مع جمعية الهلال الأحمر الصومالي ـ على توزيع الغذاء والبذور والمواد المنزلية، إضافة إلى إدارة مشروعات الإمداد بالمياه والصرف الصحي وبرنامج لدعم الماشية، والهدف المنشود هو الانتقال تدريجيًا من منظور الطوارئ إلى منظور التثبيت وإعادة البناء.

ومن المعروف أنه قد هطلت أمطار غزيرة في مناطق من البلاد ضربها الجفاف جالبة معها ارتياحًا نفسيًا طال انتظاره ومصادر للمياه آخذة في الامتلاء مجددًا على طول طرق الارتحال، وبدأت قطعان الإبل التحرك نحو الشمال في مؤشر على التفاؤل النسبي بين صفوف مجتمعات الرعاة بشأن نوعية موسم الأمطار، وعلى حين شهدت منطقة "قيدو" وأنهار "جوبا" و"شابيلي" الوسطى والسفلى المطر الوفير (وهو ما أضفى صعوبة على نقل المساعدات) فلا تزال هناك مناطق يضربها الجفاف على طول المناطق الساحلية من مقديشيو صعودًا إلى "بونتلاند" والجزء الداخلي الشمالي من "بونتلاند" حول "قاردو"، وحتى الآن شهدت المناطق الوسطى بما في ذلك "باي" و"هيران" و"قلقادود" و"مودوق" كميات معقولة من الأمطار، نتيجة لذلك أنهت اللجنة الدولية عمليات نقل المياه بواسطة الشاحنات في الجنوب وحوّلت تركيزها، لمدة أسبوع، إلى المناطق التي لا تزال تتأثر بالجفاف، ويبدو موسم الأمطار مبشرًا حتى الآن على الرغم من بقاء مناطق من البلاد جافة على نحو غير معهود، بيد أن مثل هذه الأوضاع قد نجمت كثيرًا خلال العقود الأخيرة وهي تعكس طبيعة الصومال كبلد صحراوي، فإنه يُنْتَظر أن تتوافر في أوائل يونيو/حزيران إحصائيات تَكَشُّف البخار التي تتيح التنبؤ بنوعية الحصاد في يوليو/تموز ومن ثم تمكّن اللجنة الدولية من أن تقرّر ما إذا كان عليها الإبقاء على استراتيجيتها أو تعديلها ●

أطبّاء كوبيون في الميدان

كان القتال الضاري الذي دار بين الجيش الوطني والقوات المتمردة في المناطق المحيطة بالعاصمة التشادية نجامينا وجوارها قد خلّف، رغم قصر مدته، مئات من الجرحى والقتلى.

ICRC

ICRC
اللجنة الدولية للصليب الأحمر في تشاد

- عملت اللجنة الدولية في تشاد منذ 1977، في استجابة لما فرضته الأوضاع الإنسانية للحرب بين ليبيا وتشاد، وقد عملت اللجنة في البداية كبعثة منفصلة ثم اعتبارًا من 1992 كجزء من بعثة ياوندي "الكاميرون" الإقليمية.
- وقد أعيد افتتاح بعثة منفصلة في سبتمبر 2004 وذلك بالأساس من أجل تلبية الاحتياجات الناجمة في شرق تشاد عن النزاع المسلّح في منطقة دارفور السودانية المجاورة.
- تركّز العمليات التي تقوم بها البعثة من أجل اللاجئين من دارفور على إعادة الروابط العائلية للاجئين السودانيين وتقييم وضع السكان المقيمين المعرضين للخطر وإمدادهم بالموارد الأساسية اللازمة من أجل الإبقاء على أسباب عيشهم وتعزيز ما يتلقاه جرحى الحرب ومبتورو الأعضاء من علاج.
- كما تنسّق البعثة أيضًا الزيارات للمحتجزين الأمنيين عبر أنحاء البلاد وتقوم بنشر وتعزيز القانون الدولي الإنساني ودعم الصليب الأحمر التشادي.
- ومع اندلاع الأحداث الأخيرة التي هاجمت فيها فصائل المتمردين المعارضين لحكم الرئيس إدريس دبي العاصمة نجامينا قامت اللجنة الدولية بتقديم المساعدات لمن تأثروا بهذه الأحداث من ضحايا النزاع.
- تواصل اللجنة حاليا دورها في تقديم المساعدات للتشاديين من خلال توفير العون الطبي والعلاجي للجرحى، وتقديم مساعدات الطوارئ للسكان، وإعانة المشردين وتوفير المستلزمات المنزلية، وتأهيل المراكز العلاجية، وعلاج المعاقين، وتوفير مياه الشرب النظيفة.
- يعمل في بعثة اللجنة الدولية في تشاد حاليا ثمانون موظفا من بينهم 15 مندوبًا أجنبيا ●

بتاريخ الخميس 13 أبريل/ نيسان 2006، تجمّع تسعة أطباء كوبيين، داخل منزلين يسكنونهما في نجامينا بانتظار أن تخمد أصوات المدفعيات والرشاشات. كانت المعارك قد بدأت في حوالي الساعة السادسة صباح ذلك اليوم ودامت حتى الظهيرة تقريبًا.

بعد الظهر، فوجئ الأطباء بزيارة ممثلين عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر هما طبيب تقويم الأعضاء الناطق باللغة الإسبانية، **مارسيلينو كالفو** يصطحبه نائب رئيس البعثة **نيكولاي بانكيه**. وأعلم ممثلو اللجنة الدولية للصليب الأحمر الأطباء بأن البعثة الكوبية في جنيف عرضت خبرات أطبائها الموجودين في تشاد لفترة تدوم بدوام الحاجة لهم.

كان القتال الضاري الذي دار بين الجيش الوطني والقوات المتمردة في المناطق المحيطة بالعاصمة التشادية نجامينا وجوارها قد خلّف، رغم قصر مدته، مئات من الجرحى والقتلى. وقام متطوعو الصليب الأحمر التشادي بنقل الجرحى إلى المستشفى ورفع الجثث من الطرقات. لذا كان مستشفى نجامينا العسكري يعجّ بالمقاتلين الجرحى الذين تستدعي حالتهم عمليات فورية لإنقاذ حياتهم.

أناهيتا كار*

(*) مسؤولة الإعلام ببعثة اللجنة الدولية في تشاد

وبدأ الأطباء الكوبيون، وهم ستة رجال وثلاث نساء، معركة دامت أربعة أيام دون توقف لإنقاذ أرواح المصابين. عالجوا فيها أكثر من 500 حالة من بينها 171 حالة استدعت تدخلًا طارئًا في ظروف صعبة للغاية.

وقدمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر الدعم للمستشفى واضعة تحت تصرفه مندوبًا طبيًا ومعدات لاستقبال جرحى الحرب المتدفقين، بما في ذلك الخيام والبطانيات والملاءات ووحدات من معدات الجراحة والطوارئ.

ومن بين الأطباء، الدكتور **ريكاردو بيريرا** الذي يعمل في البلدان النامية منذ عام 1994. وعندما سألناه عن أصعب تحدٍ واجهه خلال الأيام الماضية في تشاد أجاب أن أكبر تحدٍ لم يكن في قلة النوم أو الراحة أو حتى استراحة الأكل بل في نقص عدد العاملين والبنى التحتية الملائمة.

"كان علينا أن نرفع المرضى من الأرض إلى طاولة العمليات بأنفسنا. وكانت الصيدلية مغلقة قبل تدخل اللجنة الدولية للصليب الأحمر للحصول على الأدوية الأساسية كالمضادات الحيوية والأكسجين ومواد التخدير".

أما الدكتور **سيزار هيشافاريا** فهو طبيب تخدير علاوة على كونه رئيس الفريق. وكان يعمل كطبيب متنقل منذ عام 1989 إلى أن قاده أول تعيين له إلى أنغولا. وكان مركز عمله، خلال الحرب الأهلية، في العاصمة "لواندا" حيث كانت تُنقل الحالات الفائقة الخطورة فقط. لكنه قال إنه واجه خلال الأيام الأخيرة أصعب التحديات الطبية التي واجهها في حياته بسبب كثرة عدد الحالات.

وأبدى الطبيبان تأثرهما بحالة معينة وهي حالة فتى أصيب بجروح في صدره وذراعه. ومنذ أسابيع قليلة كان هذا الفتى يعمل راعيا قبل أن يجنَّد للقتال ضد الحكومة.

يقول الدكتور **بيريرا** "لقد جعلني هذا الفتى أفكر بولديّ، وهما في نفس سنه تقريبًا، وكيف يعيشان بأمان في كوبا ويتمتعان بكامل المستلزمات التي توفر لهما العناية الصحية والتربية المجانية. هنا يتم تجنيد العديد من الأطفال من دون أن يعرفوا السبب الذي يقاتلون من أجله".

كان هؤلاء الأطباء قد قدموا إلى تشاد في إطار برنامج حكومي. يتم من خلاله في العادة تعيينهم في بلد ما لمدة سنتين أو ثلاث سنوات ويحق لهم في آخر كل سنة عطلة مدتها شهر يعودون خلالها إلى بلادهم لزيارة عائلاتهم.

وعندما سألنا هؤلاء الأطباء عن الدوافع التي تجعلهم يعملون في هذه الظروف الصعبة ويتحملون هذه الفترات الطويلة من البعد عن عائلاتهم، أجابنا أحدهم:

"نحن هنا للعناية بالناس دون النظر إلى انتماءاتهم العرقية أو الدينية أو السياسية. يمكننا العمل مع كافة المنظمات كالصليب الأحمر على سبيل المثال، وحيث يكون هناك حاجة لنا ونأمل الاستمرار في ذلك" ●

REUTERS

أثر الجدار على الظروف المعيشية للفلسطينيين

"لو بنت إسرائيل حاجزًا داخل أراضيها، قد لا يكون ذلك جميلًا ولكنه ليس مخالفًا للقانون. أما إذا أحدث بناء الحاجز تغيرًا في خط الهدنة لعام 1949 وأوجد واقعًا جديدًا في الأراضي المحتلة كما هو الحال في قلقيلية والقدس وفي أماكن أخرى، فهذا مخالف للقانون. وقد صرحنا بذلك علنًا قبل عامين". بيير كراينبوهل مدير عمليات اللجنة الدولية

لا شك أن جدار الضم والإلحاق، الذي شرعت إسرائيل بتشييده داخل أراضي الضفة الغربية منذ منتصف عام 2002م، بحجة وذريعة الأمن، يعد واحدا من أخطر الانتهاكات التي اقترفها المحتل على صعيد هذه الأراضي، بل إن الجدار كانتهاك متواصل قد طالت آثاره وأضراره مختلف مناحي الحياة للفلسطينيين، وليس هذا فحسب بل امتد ضرره ليشمل أهم مقومات وأسس حق الفلسطينيين في تقرير المصير أي الأرض، جراء استخدام المحتل لهذا الجدار كأداة ووسيلة لاكتساب وضم مساحات شاسعة من الأراضي الفلسطينية، التي أدى بناء الجدار إلى إلحاقها وضمها فعليا لدولة إسرائيل.

ولم يقف بطبيعة الحال ضرر الجدار عند ذلك وإنما ألحق الجدار بالفلسطينيين وإقليمهم مجموعة كبيرة من الأضرار التي يمكننا حصر وتحديد أخطرها بالنقاط التالية:

- تدمير القطاع الزراعي الفلسطيني، جراء تدمير ومصادرة آلاف الدونمات الزراعية، إذ تسبب بناء الجدار باقتلاع حوالي 100 ألف شجرة زيتون، ومصادرة ما يزيد على 165 ألف دونم[1]، وجرف حوالي 230 ألف دونم من الأراضي الزراعية، وعزل 238,350 دونمًا، كما أدى الجدار الى فصل المزارعين في 71 قرية فلسطينية عن أراضيهم الواقعة خلف الجدار، مما أدى الى حرمان وتجريد آلاف الأسر الفلسطينية من مصدر دخلها ورزقها الأساسي.
- خنق المدن والتجمعات الحضرية الفلسطينية ومحاصرتها مما سيحول دون تطورها واتساعها، وبالتالي مواكبتها ومجاراتها لما تشهده من تزايد ديموغرافي، حيث تمخض عن بناء الجدار في مسار متعرج تحويل عشرات القرى والتجمعات الفلسطينية الحضرية إلى سجون وجيوب معزولة ومحاصرة، وتحديدا تلك التجمعات التي أصبحت تقع بين الجدار وبين الخط الأخضر(الخط المعترف به دوليا كحدود فاصلة بين الأراضي الفلسطينية والأراضي الإسرائيلية).
- الاستيلاء على موارد ومصادر الثروة المائية، جراء وضع سلطات الاحتلال الإسرائيلي ليدها على أهم وأغلب مصادر ومكامن الثروة المائية الفلسطينية، المتواجدة في هذه الأراضي الفلسطينية التي تمت مصادرتها أو إعلانها مناطق عسكرية مغلقة، بحيث أدت هذه المصادرات والإغلاقات إلى استيلاء دولة الاحتلال الإسرائيلي على مياه الحوض الغربي، وهو أهم أحواض المياه الجوفية في الضفة الغربية.
- النقل والترحيل الجبري لمئات الأسر الفلسطينية من مناطق سكنهم إلى غيرها من مناطق الأراضي الفلسطينية المحتلة، جراء فقدانهم لمصادر ارتزاقهم أو جراء القيود الإسرائيلية المفروضة على حركتهم وتنقلهم، مما حتم عليهم الانتقال إلى مناطق أخرى، وحسب المصادر بلغ مجموع الأسر التي هجرت منذ بناء الجدار حوالي 2,448 أسرة، في حين بلغ عدد الأفراد الذين تم تهجيرهم 14,364 فردا من التجمعات التي تأثرت بالجدار.
- تخريب الأراضي والملكيات الخاصة الزراعية، حيث تم إلى جانب المصادرات المباشرة وأعمال الاستيلاء العلني على الأراضي والملكيات الفلسطينية، تجريد وحرمان الفلسطينيين من آلاف الدونمات الزراعية، جراء وقوعها خلف الجدار، مما حال بين اصحابها وإمكانية استغلالها أو الوصول إليها جراء القيود والإجراءات الأمنية الإسرائيلية المفروضة على تنقل أصحاب هذه الملكيات لأراضيهم.
- وضع السكان في ظروف معيشية صعبة، جراء القيود المفروضة على حركتهم من وإلى المناطق القائم عليها الجدار أو المناطق الواقعة خلف الجدار مما أثر على حقوقهم في العمل والتعليم والصحة، حيث أثر بناء الجدار على حركة الطلبة والمعلمين في 320 مدرسة، كما أفقد حوالي 220 ألف مواطن القدرة على الوصول إلى المراكز الصحية بسهولة ويسر.
- أدى الجدار في العديد من المناطق إلى تشتيت آلاف الأسر وضرب شملها ووحدتها، وتحديدا تلك القاطنة في البلدات والقرى التي تسبب الجدار في تقسيمها وفصلها إلى نصفين كما هو الحال في القرى والبلدات المحاذية لمدينة القدس ومنطقة بيت لحم، وقلقيلية وطولكرم.
- تدمير وتخريب البيئة الفلسطينية، إذ لم يقتصر أثر الجدار الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة على حرمان وتجريد سكان الأراضي المحتلة من أداة الإنتاج الرئيسية جراء تدمير وتخريب الملكيات العامة والخاصة واقتلاع الأشجار وتخريب الأراضي الزراعية، وإنما تجاوز أثر الجدار المدمر ذلك بكثير جراء الدمار والتخريب الذي ألحقته هذه الممارسات بالبيئة الفلسطينية ومكوناتها الحيوانية والنباتية والمائية.
- إغلاق عشرات المنشآت الاقتصادية بسبب الجدار، حيث بلغ عدد المنشآت التي اضطرت إلى إغلاق أبوابها منذ الشروع ببناء الجدار حوالي 1,702 منشأة، منها 1,330 منشأة في شمال الضفة الغربية، و245 في وسط الضفة الغربية و127 في جنوب الضفة الغربية.

ناصر الريس*

- تقسيم الضفة الغربية إلى ثلاثة أقسام وهي:

(1) منطقة أمنية شرقية على طول بمساحة 1237 كيلومترًا مربعًا أي ما يعادل 21,9٪ من مساحة الضفة الغربية وتضم هذه المساحة 40 مستعمرة إسرائيلية.

(2) منطقة أمنية غربية بمساحة 1328 كيلومترًا مربعًا أي ما يعادل 23,4٪ من مساحة الضفة الغربية. هذا يعني أن كلتا المنطقتين ستؤدي إلى تجريد الفلسطينيين من حوالي 45,3٪ من مساحة الأراضي الفلسطينية.

(3) تقسيم المساحة المتبقية من أراضي الضفة الغربية، إلى 8 مناطق و64 معزلاً فلسطينيًا.

مدى مشروعية جدار الضم والإلحاق

برر حكومات إسرائيل، إجراءات المصادرة والاستيلاء على الأراضي الفلسطينية، لإنشاء وإقامة الجدار بأسباب أمنية وضرورات عسكرية ملحة تقتضي حتما ضرورة وواجب القيام بمثل هذه العمل للحفاظ على أمن وسلامة مواطنيها بمواجهة عمليات التفجير التي يتم تنفيذها من قبل سكان الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وبعيدا عن الدخول في تفاصيل مناقشة وتقييم هذا المبرر، يمكننا القول بأن جدار الضم والإلحاق يعتبر استنادا لأحكام وقواعد القانون الدولي الإنساني عملا غير مشروع، لمخالفته الصريحة والواضحة لأحكام اتفاقية جنيف الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب لعام 1949، كاتفاق ملزم وواجب التطبيق والاحترام من قبل دولة الاحتلال الإسرائيلي على صعيد الأراضي الفلسطينية المحتلة فضلا عن مجموع الصكوك والمواثيق الدولية الناظمة لأحكام وقواعد القانون الدولي الإنساني الأخرى كلائحة لاهاي المتعلقة بقوانين وأعراف الحرب البرية لعام 1907، وبروتوكول جنيف الأول المكمل لاتفاقيات جنيف الأربع والمتعلق بحماية ضحايا النزاعات الدولية المسلحة لعام 1977م.

(*) محام، وعضو لجنة مكتب في اللجنة الوطنية الفلسطينية للقانون الدولي الإنساني، ومستشار مؤسسة الحق – مؤسسة فلسطينية تعنى بحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني.

ويمكننا في هذا الصدد حصر وتحديد أحكام اتفاقية جنيف الرابعة وغيرها من مواثيق القانون الدولي الإنساني التي انتهكتها وأخلت بها دولة الاحتلال الإسرائيلي جراء إنشائها وتشييدها لجدار الضم والإلحاق على صعيد الأراضي الفلسطينية المحتلة، بالنقاط التالية:

- انتهاك لأحكام المادة 53 من اتفاقية جنيف الرابعة، جراء عمليات الهدم والتخريب غير المبررة للملكيات الفلسطينية العامة والخاصة، التي شرعت قوات الاحتلال الإسرائيلي بتدميرها وتخريبها على نطاق واسع لغاية إنشاء الجدار.
- انتهاك لأحكام المادة 49 من الاتفاقية الرابعة جراء عمليات النقل الجبري الجماعي أو الفردي للفلسطينيين من مناطق سكنهم التي عزلها الجدار إلى مناطق أخرى داخل الأراضي المحتلة.
- انتهاك لأحكام المادة 52 من اتفاقية جنيف الرابعة، جراء تسبب الجدار ببطالة آلاف الفلسطينيين سواء أولئك الذين فقدوا أراضيهم ومصدر رزقهم جراء أعمال المصادرة والتخريب لممتلكاتهم أو أولئك الذين حال الجدار بينهم وإمكانية الوصول لمناطق عملهم أو نتيجة لفقدانهم لفرص العمل في المناطق المستهدفة بالجدار.
- انتهاك لأحكام المادة 54 من بروتوكول جنيف الأول الملحق باتفاقيات جنيف الأربع جراء تدمير وتعطيل دولة الاحتلال للمناطق الزراعية ومرافق المياه التي لا غنى عنها لبقاء السكان المدنيين، لحملهم على النزوح الجبري من المناطق الجاري تشييد الجدار عليها إلى مناطق أخرى.
- انتهاك لأحكام الفقرة (ز) من المادة 23 من لائحة لاهاي التي أقرت حظر تدمير ممتلكات العدو أو حجزها، إلا إذا كانت ضرورات الحرب تقتضي حتمًا هذا التدمير أو الحجز.
- انتهاك لأحكام المادة 46 من لائحة لاهاي التي حظرت صراحة وعلى وجه القطع مصادرة الملكية الخاصة.
- انتهاك لأحكام المادة 47 من لائحة لاهاي التي حظرت صراحة سلب دولة الاحتلال للممتلكات والموارد والثروات في الأراضي المحتلة.
- انتهاك لأحكام المادة 55 من لائحة لاهاي جراء تجاوز دولة الاحتلال الإسرائيلي لقواعد الانتفاع بالنسبة للممتلكات العامة.

التوصيف القانوني للممارسات الإسرائيلية المتعلقة بإنشاء الجدار

ألزمت أحكام وقواعد القانون الدولي الإنساني الناظمة للاحتلال الحربي، وتحديدا أحكام لائحة لاهاي لعام 1907 واتفاقية جنيف ●●●

AFP

أثر الجدار على الظروف المعيشية للفلسطينيين

الرابعة لعام 1949 وبروتوكول جنيف الأول المكمل لاتفاقيات جنيف الاربع لعام 1977، دولة الاحتلال بتجنب القيام بأعمال مصادرة الملكيات الخاصة أو تدميرها وتخريبها غير المبرر فضلا عن إلزامها دولة الاحتلال بتجنب النقل والترحيل الجبري لسكان الأراضي المحتلة إلى خارج مناطق سكنهم وتجنب بل وحظر الاستيطان وكافة أشكال نقل دولة الاحتلال لسكانها المدنيين بهدف توطينهم في الأراضي الخاضعة لاحتلالها.

ودون الدخول في تفاصيل مناقشة الحجج والمبررات الإسرائيلية لأسباب ودواعي بناء الجدار، يمكننا القول بأن كافة الأسباب التي ساقتها دولة الاحتلال لتبرير هذا البناء لا يمكن الاعتداد بها بل لمخالفتها الصريحة للضوابط والقيود التي وضعتها أحكام القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي العام كاستثناء على حق ومشروعية تجاوز المحتل لالتزاماته المتعلقة بحظر تدمير ومصادرة الممتلكات الخاصة والعامة في الأراضي المحتلة[2].

وبخصوص موقف أحكام اتفاقية جنيف من الممارسات التي تلازمت مع إنشاء وتشييد المحتل الإسرائيلي لجدار الضم كأعمال التدمير والتخريب ومصادرة الأراضي العامة والخاصة، والاستيلاء على الموارد المائية للإقليم الفلسطيني المحتل، يمكننا القول بانطباق مفهوم الانتهاكات الجسيمة التي تضمنها وأشار إليها نص المادة 147 من اتفاقية جنيف الرابعة على هذه الممارسات، لكونها قد تمت على نطاق واسع، وعلى وجه مغاير للمتطلبات والاحتياجات الحربية الأمنية، مما يستوجب استنادا لأحكام وقواعد القانون الدولي الإنساني والعام مساءلة وعقاب الآمرين بارتكاب هذه الأفعال ومرتكبيها فضلا عن المحرضين والمخططين على ارتكابها.

مسؤولية دولة الاحتلال الناشئة عن بناء الجدار

يترتب على انتهاك دولة الاحتلال لقواعد وأحكام القانون الدولي العام فضلا عن انطباق مدلول الانتهاكات الجسيمة على أعمال دولة الاحتلال المتعلقة بتشييد الجدار، إثارة المسؤولية الدولية لدولة الاحتلال عن هذه الجرائم والانتهاكات وهي بالاستناد لأحكام وقواعد القانون الدولي الإنساني مسؤولية ذات طبيعة مزدوجة، إذ هي مسؤولية مدنية من جانب وجنائية من جانب آخر.

وبالرجوع لأحكام وقواعد القانون الدولي الخاصة بخرق وانتهاك أشخاص القانون الدولي لالتزاماتهم الدولية وارتكابهم لأعمال غير مشروعة بموجب أحكام وقواعد هذا القانون، نقف على أن أحكام القانون الدولي عموما وأحكام وقواعد القانون الدولي الإنساني الخاصة بحالة الاحتلال الحربي، قد ألزمت الطرف الذي أضر بالغير، بواجب ومسؤولية القيام بجملة من الأعمال لإزالة ووقف آثار خرقه وانتهاكه لأحكام وقواعد القانون.

وبشأن تطبيق الأوضاع السالفة على صعيد الشعب الفلسطيني الذي تضرر جراء الجدار وما يمثله من خرق وانتهاك واضح لالتزامات دولة الاحتلال الدولية الناشئة عن أحكام وقواعد القانون الدولي الإنساني، يمكننا القول بأن مسؤولية إسرائيل القانونية في هذا الشأن تقتضي:

- وقف دولة الاحتلال ممارستها غير المشروعة، وذلك من خلال امتناعها عن المواصلة والاستمرار في تشييد الجدار، إلى جانب ضرورة توقفها المطلق عن القيام بأعمال الهدم والتخريب الجاري اقترافها حيال الأراضي والملكيات الفلسطينية العامة والخاصة.
- إعادة الحال إلى ما كان عليه (التعويض العيني)، وهذا ما يقتضي ضرورة قيام دولة الاحتلال بإزالة الجدار وجميع مرافقه القائمة على صعيد الأراضي الفلسطينية المحتلة وأيضا إعادة كافة الممتلكات والأراضي المصادرة لأصحابها وملاكها، وبعبارة أخرى يعني هذا الشرط أو القيد، ضرورة أن تعيد دولة الاحتلال وضع الإقليم الفلسطيني وممتلكات سكانه وأوضاعه الديمغرافية والجغرافية إلى الحال التي كانت عليها الأراضي الفلسطينية قبل الشروع ببناء الجدار.
- التعويض المالي: بالنظر لاستحالة استعادة سكان الأراضي المحتلة لوضعهم السابق أي لما كان عليه الحال قبيل تنفيذ إسرائيل لانتهاكاتها بهذا الخصوص، جراء إتلاف وتدمير مساحات شاسعة من أراضيهم وملكياتهم وما عليها، فضلا عن استهلاكها واستنزافها لمقدرات إقليمهم وموارده الطبيعية وثرواته، فهنا يصبح الحل القانوني الأمثل والواجب تطبيقه في مثل هذه الأحوال، دفع دولة الاحتلال لمبالغ مالية لجميع من تضرر من ممارساتها في هذا المجال، كتعويض مالي عن هذه الأضرار على أن تراعي فيما تقدمه من مبالغ ضرورة ووجوب أن تكون عادلة ومنصفة، أي أن تراعي وتأخذ بعين الاعتبار حقيقة حجم وكلفة الأضرار التي لحقت بسكان الأراضي المحتلة وممتلكاتهم العامة والخاصة.

وبالطبع فإن تنفيذ سلطات الاحتلال للمتطلبات السالفة كتعويض عن انتهاكها وإخلالها بالتزاماتها الدولية الناشئة عن اتفاقية جنيف الرابعة وغيرها من المواثيق والاتفاقيات الدولية الناظمة لحقوق الإنسان، يعد إجراء وعملا لابد من تنفيذه استنادا لقواعد القانون الدولي العام ولأحكام وقواعد القانون الدولي الإنساني المتعلقة بحالات الاحتلال، وبالتالي لا يمكن بأى حال من الأحوال إعفاء إسرائيل لذاتها أو إسقاط وإنكار مسؤوليتها الدولية عن أعمالها وممارساتها السالفة ●

(1) الدونم وحدة لتحديد مساحة الأرض تعادل 1000م2

(2) للمزيد بهذا الشأن انظر فتوى محكمة العدل الدولية المتعلقة بالجدار الصادرة في 9 يوليو/ تموز 2004 وتحديدا مضمون الفقرات 122 وما بعدها، وبخصوص المبررات الأمنية انظر الفقرة رقم 137 و138 من الفتوى.

المنظمات الدينية الخيرية في العالم العربي [ملف العدد]

الإغاثة الإسلامية

منذ اندلاع أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول 2001، وما تلاها من أزمات على صعيد العلاقات الدولية، صار ملف المنظمات الدينية الخيرية العاملة بالعالم الإسلامي ملفا ساخنا، متخطيا بذلك وضعه السابق كملف مثير للجدل.

فقد تناثرت الاتهامات لبعض هذه المنظمات والجمعيات بأنها تساند الإرهاب وتعمل على تمويله.

بعض هذه الاتهامات بلغ حد الحديث عن هذه المنظمات والجمعيات بأنها هي بذاتها تمثل جماعات إرهابية، وأنها ليست سوى مآوي للمتطرفين.

في هذا الملف، تسعى "الإنساني" إلى إيضاح جانب من الصورة عبر استعراض بعض من ثنايا هذا الملف المعقد، من خلال شهادات لبعض الناشطين في العمل الإنساني والعمل الخيري الإسلامي، وهي شهادات تنفي هذه التهمة عن مؤسسات العمل الخيري الإسلامية، وتؤكد على دورها الحيوي بالنسبة للمجتمعات العربية والإسلامية، وتستند بطبيعة الحال إلى المرجعية الإسلامية للعمل الخيري التي تنطلق من حض الدين الإسلامي على التكافل، وفعل الخير، وإلى أن الإسلام يعتبر الزكاة فريضة من فرائضه، وهي فريضة تهدف إلى تحقيق صورة من صور العدالة الاجتماعية من خلال دعم الغني للفقير وتوظيف جانب من ثروة القادرين لتحسين أوضاع الضعفاء وغير القادرين.

هناك بلا شك عدد من العوامل التي تضفي قدرا من الالتباس حول الدور الذي تقوم به منظمات العمل الخيري في عالم اليوم، سواء كانت تقوم بهذا العمل منظمات دينية مسيحية غربية أم منظمات دينية مرجعيتها الإسلام. وهي عوامل ثقافية وعقيدية تتصل في جانب منها بصعوبة الحوار بين الثقافات وعدم وجود مفاهيم موحدة عند النظر إلى دور الدين والثقافة المحلية هنا وهناك، شمالا أم جنوبا، إضافة إلى التعقيدات الاتصالية والسياسية التي أتت بها نوعية العولمة المطروحة اليوم على صعيد الكوكب، والتي عملت بدورها على تقليص دور الدولة وإسناد أجزاء كبيرة من هذا الدور إلى مجتمع مدني لم يزل في طور التشكل، وهو وضع يشوبه قدر كبير من عدم الوضوح، بل والاضطراب، كون العالم يعيش مرحلة انتقال، لم تتضح بعد معالم مؤسساتها القانونية والأخلاقية التي تنظم العلاقات الإنسانية فيها على نحو يتوافق وما أتت به التغيرات السريعة المتلاحقة التي حدثت، سواء بفعل اندلاع ثورة الاتصال أم بفعل التطورات السياسية والاقتصادية والعسكرية التي نشأت بعد انتهاء الحرب الباردة.

نحن لسنا هنا بالتأكيد بصدد وضع تصور جامع مانع لدور العمل الخيري في عالم اليوم، لكن ما نسعى إليه بالتأكيد، هو الإسهام بدور إيجابي في فتح قنوات للاتصال والحوار، بل والتنسيق بين كل الساعين للقيام بدور إنساني في هذا العالم، بغية الانطلاق إلى آفاق أرحب من أجل رفع كفاءة الخدمة الإنسانية التي تقدمها كافة مكونات العمل الإنساني للمستضعفين في كل مكان بالعالم.

على الدولة الاضطلاع بمسؤولياتها العامة وفرض مراعاة الضوابط اللازمة للعدالة الاجتماعية وتمكين المؤسسات من أداء مهامها وتقوية المؤسسات العامة ودعمها. وما العمل الخيري الذي تعلو قيمته في الإسلام، إلا مجهود إضافي يكمل واجبات الدولة تجاه مصالح مواطنيها ولا يحل محلها.

العمل الخيري في الإسلام

الإغاثة الإسلامية

منطلقات العمل الخيري في الإسلام

للفظ "الخير" في اللغة دلالات تقود جميعها إلى الصفات المحمودة. ومن منّا يفوته في يومه أنْ يقول "صباح الخيْر" أو "مساء الخير" أو أنْ يردّ على التحية بمثلها، على الأقلّ. ومنْ منّا يرضى أنْ ينسب إليه الشرّ، نقيض الخيْر؟ ومن منّا لا تصادفه مرادفات هذا اللّفظ الكثيرة فيما يقرأ أو يُسمع أو يشاهد؟ ومن سمات الإسْلام البارزة الترغيب في الخير والحث عليه والترهيب من الشرّ والزّجر عنه والتحذير من عواقبه.

وبموجب النص القرآني– الأصل الأول من أصول الفقه– اقترنت العبادات بالأمر بفعل الخير: "يا أيّها الذين آمنوا ارْكعوا واسجدوا واعبدوا ربّكمْ وافْعلوا الخيْر لعلكم تفلحون" (الحج، 77)، بل إنّ المؤمنين مأمورون بالمبادرة إلى القيام بأعمال الخيْر: "فاستبقوا الخيرات" (البقرة، 148 والمائدة، 48). ويؤكد القرْآن الكريم بوضوح أنّ فعْل الخيْر، الذي يشكل جزْءا من رسالة الإسلام، كان في صلب دعوة الأنبياء والرسل السابقين الذين قال فيهم الله عز وجلّ: "وأوْحينا إليهم فعْل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين" (الأنبياء، 73). وفي عموم النص الآمر بالخيرات والصالحات والحسنات أو الحاثّ عليْها ما يدلّ على أن باب القيام بها مفتوح أمام النّاس دون قيْد، وأنّ أداءها يحدده عقل الإنسان ورغبته. وحيثما وجب التخصيص، نجد أنّ القرْآن الكريم بيّن لنا الفئات التي يتعين مساعدتها أو الإحسان إليها كالوالدين وذوي القرْبى واليتامى والمساكين والجيران وأبناء السبيل.

وإلى جانب الشواهد القرآنية الكثيرة الدالة على الأمر بفعل الخيْر أو الدعْوة إليْه نجد في السّنة النبويّة الشريفة مبادئ العمل الخيْري وأسسه، ومنطلقها حاجة الإنسان إلى عوْن أخيه الإنْسان. ولنتأمّل هذا الحديث: "يقول العبْد: مالي، مالي! إنما له منْ ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أوْ لبس فأبْلى أو أعطى فأبقى، وما سوى ذلك، فهو ذاهب وتاركه للنّاس"، وفي المعنى ذاته: "وهلْ لك يا ابن آدم منْ مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت". ويطمئن الرسول صلى الله عليه وسلم المتصدقين بكلمات قليلة بليغة: "ما نقصت صدقة من مال". وورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله: "اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمنْ لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة". وتبدو الصدقة في الحديث الأول المذكور هنا في مرتبة حاجات الإنسان الأساسية، و ما المال إلا وسيلة لتلبية مقتضياتها ويجب أن يخصص جزء منه، قل أو كثر، للصدقة. وإذا لم يوجد المال، "فليسعف القول إن لم تسعف الحال" أو" فليسعد النطق إن لم تسعد الحال" (المتنبي). أجل، قد تكون المواساة والكلمة الطيبة أحيانا أنفع من المال وأطيب أثرا في سمع متلقيها ونفسه.

وفي القرآن الكريم والسنة الشريفة يتجلى تكريم فاعل الخير ("والدال على الخير كفاعله") في حسن الثواب الذي وعده الله به: "الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (البقرة، 274) و"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون" (النحْل، 97). وخص الله تعالى المتصدقين والمتصدقات بالمنزلة الرفيعة وهم من الموعودين بالمغفرة والأجر العظيم (الأحزاب، 35). وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسْلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة".

إن العمل الخيري، في أبعاده الفردية والاجتماعية، يصبو إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية: طاعة الله ورسوله وفيها مرضاة الله، ومساعدة الآخرين تعبيرا عن التضامن والتراحم والتكافل والاستجابة إلى نزعة الخير التي تبعث في صاحبها الرغبة في مساعدة المحتاجين.

لقد ترك الشرْع الإسلامي للقادرين على فعل الخيْر حرية القيام به مطلقة، لكنه حرص على ضمان الحد الأدنى من الإنفاق على ذوي الحاجات، وذلك عبْر الزكاة، وهي ركن من أركان الإسلام، أيْ أنّ إيتاءها واجب على المكلفين القادرين. ومصارف الزكاة محددة شرْعا، لكن مجالات العمل الخيري الاختياري أوسع نطاقا زمانا ومكانا، كما يدل على ذلك ما تكفله الصدقات والأوقاف وخصوصا الوقف الخيري. وأيا كانت مصادر الإنفاق على الأعمال الخيرية، فإننا نلاحظ أن لهذه الأعمال سندا شرعيا قائما على نصوص الكتاب والسنة وممارسات الصحابة ومن تبعهم. ودون الخوض في الأحكام الفقهية ذات الصلة، سنحاول إيضاح بعض شروط العمل الخيري انطلاقا من أحكام الشريعة الإسلامية.

شروط العمل الخيري

إذا استثنينا الزكاة المفروضة شرعا (مع إقرارنا بأن مصارفها تشمل أيضا القطاع الخيري)، فإننا نستطيع استجلاء أهم ملامح العمل الخيري وهي التطوع والإيثار وتجنب المن والرياء.

أ ـ التطوّع

لا إكراه على فعل الخير في شرعة الإسلام، وإنما حث عليه واستحسان له ووعد إلهي بالمغفرة والثواب مكافأة لفاعله. ومن أجَل الطاعات تلك التي يؤديها المؤمن طوعا لا كرها. ورغبة في الخير لا للمغنم أو الربح الزائل (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا"، الإنسان 9) "الذي يؤتي ماله يتزكى، وما لأحد عنده من نعمة تجزى، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى"، الليل، 18–21)..والتطوع أنواع منها التطوع بالمجهود البدني والفكري وببذل المال والوقت لبلوغ الغايات المطلوبة وسواء قام المتطوع بالعمل الخيري بنفسه أو بواسطة غيره كأن يعطيه المال اللازم أو يمكنه من الخبرة الضرورية لإنجاز العمل، فإن الهدف النهائي واحد، وهو مساعدة المحتاجين. ولابد من إبراز قيمة التطوع مهما كان شكله ومضمونه، فلا يستهان بأي مجهود تطوعي مهما بدا ضئيلا. وفي تأكيد الرسول صلى الله عليه وسلم على قيمة الكلمة الطيبة ما يغني عن كل بيان.

ب ـ الإيثار

الإيثار ميزة خصها القرآن الكريم بالذكر وكَرّسها النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله. وقمة الكرم والعطاء تتمثل في إيثار غيرك على نفسك وأنت في حاجة إلى ما تجود به. وذكر الله تعالى الذين "يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة" (الحشر، 9) والذين "يطعمون الطعام على حبّه مسكينا ويتيما وأسيرا"(الإنسان، 8) ومن "آتى المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب" (البقرة، 177) وخاطب الله عزّ وجلّ المؤمنين بقوله: "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" (آل عمران، 92). ولما كانت النفوس مجبولة على حب المال، فإن اختبارها بالإنفاق منه على المحتاجين يحَدد الفرق بين المحسنين وغيرهم "ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون"، (الحشر 9)، وشح النفس هو حرصها على المال. ولا يعني الإيثار في رأينا إقدام المسلم على إيذاء نفسه أو تعريضها للهلاك في سبيل غيره، فهو منهي عن ذلك شرعا، وإنما هو زيادة في العمل الصالح ومبادرة إلى إسعاف المحتاج وفقا لضرورات الحاجة والحالة التي هو عليها. ويبقى الأصل في الإسلام فعل الخير بمختلف أوجهه، وإذا ارتقى فاعل الخير إلى درجة الإيثار، ففي ذلك أنبل صور العمل الخيري.

ج ـ تجنب الرياء والمن

من أقوال العرب المأثورة أن "المنة تهدم الصنيعة"، ونهى القرآن الكريم المؤمنين عن اتباع صدقاتهم بالمن والأذى، فذلك مما يبطل أجرها. ومن صور المن إشادَة المتصدق بصدقته ومجاهرته بالإحسان إلى المنفق عليه، والأذى بذكر الصدقة إلى من لا يحب المتصدق عليه أن تذكر عنده أو التشهير بفقره وعوزه. ويتساوى المن والأذى مع الرياء، وهو مذموم في العبادَات كلها. وإبداء الصدقات إظهارا وشكرا لنعم الله وحثا للآخرين على الاقتداء بالمتصدق محمود، لكنّ إخفاءها وإعطاءها لمستحقيها أفضل لما فيه من حفظ كرامتهم ومراعاة حيائهم خاصة إذا كانوا من الذين "يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، تعرفهم بسيماهم، لا يسألون الناس إلحافا" (البقرة، 173).

لا حصْر للإنفاق "بالليْل والنّهار سرّا وعلانية" (البقرة، 274)، وفق الضوابط ●●●

د.عامر الزمالي*

(*) مستشار شؤون العالم الإسلامي، اللجنة الدولية للصليب الأحمر

الشرْعية، لمساعدة المحتاجين دون المنّ عليهم، ودون رياء أو تكبر. ونستحضر قصة قارون الذي طغى على قومه بماله وصلفه ولم يعمل بهذه الأوامر: "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنْسَ نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين" (القصص، 77).

وفي السورة نفسها، بعد قصة قارون، يأتي هذا التأكيد الذي ذكرناه آنفا: " من جاء بالحسنة فله خير منها " (القصص، 84)، وهو جزاء العمل الصالح الذي يؤديه المؤمنون "ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم" (البقرة، 265). ومن خلال شرط تجنب المن والأذى والرياء لاستقامة العمل الخيري وتحقيق غاياته، يمكننا القول أن كرامة ذوي الحاجات وشرفهم يستوجبان عدم استغلال أوضاعهم لبلوغ أهداف أخرى غير أهداف البر والإحسان وحتى من ألح في السؤال، يمكن رده بالقول الحسن، دون إيذائه بالزج به في ما لم يطلبه أصلا" قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى" (البقرة،263)، ومن باب أولى اجتناب استخدام المتعففين من المحتاجين لتحقيق أغراض لا صلة لها بالعمل الخيري. ومن المؤسف الإقرار بأن تحويل العمل الخيري عن وجهته الأصلية ظاهرة لا يخلو منها عالم اليوم لكنها لا تقلل من شأن أهمية هذا العمل وحتميته.

أهمية العمل الخيري في عالم اليوم

يؤكد القرآن الكريم مفهوم الأخوة ("إنما المؤمنون إخوة"، الحجرات، 10)، وتعني هذه الرابطة التكافل والتعاون والترابط. وكانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار من أهم دعائم أول مجتمع إسلامي أرسى الرسول ﷺ دعائمه. وفي الحديث الشريف أن "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" و"مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". وأثناء خط هذه السطور، تناهت إلى مسامعنا أنباء الزلزال في إندونيسيا، وما خلفه من خسائر في الأرواح والممتلكات ومن تشريد وآلام. ويذكرنا هذا الزلزال بكوارث أخرى في إندونيسيا وغيرها من بلاد العالم، وليست الزلازل والبراكين والفيضان هي كل أسباب المآسي في العالم، فالكوارث الصناعية والحروب والتصحر والأضرار التي تمس أهم مكونات البيئة حقائق واضحة للعيان، ولابد للمجموعة الدولية كافة من الاهتمام بآثارها المعلومة على الأقل، وهي آثار تطال المسلمين وغيرهم والحلول التي تقتضيها من مسؤولية الجميع.

إن عبارة "العمل الخيري، أو العمل الإنساني" أو ما في معناها، عبارة تشمل المجهود الفردي والجماعي، وتشمل الأوضاع الفردية والاجتماعية، أيا كان حجم المجتمع الذي يحتاج إلى العمل الخيري (أسرة، قبيلة، حي، قرية، مدينة، إقليم، دولة، مجموعة دول). وبقدر ما حققت البشرية من إنجازات علمية ومادية، بقدر ما واجهت من تحديات يصعب عدها حصرا. وفي زمن "القرية الكونية" وسلطان تقنيات المعلومات والاتصالات، تمعن دول في احتكار أسلحة الإبادة، وتسعى دول أخرى إلى مزيد من التسلح ويَطغى الإنفاق على السلاح على ما سواه في كثير من الدول حتى أن بعضها سجل تراجعا مأساويا في معدلات التنمية، أما عن نهم بعض الدول في استهلاك الطاقة وما يواكبه من ارتفاع في الأسعار، لا قبل لغير المنتجين به، خاصة في المجتمعات الفقيرة، فحدث ولا حرج. ومع التقدم في مجالات الطب والصحة وإنتاج الأدوية، تجد البشرية نفسها أمام مخاطر أوبئة فتاكة لا تقوى مجتمعات متقدمة على مواجهتها، فكيف يكون الأمر بالنسبة إلى المجتمعات الأقل تقدما؟. وفي زمن "التخصيص" تشهد دول كثيرة ظاهرة قطع الأرزاق والكساد في سوق العمل واستقالة الدولة من مسؤوليات عامة اجتماعية واقتصادية وثقافية، وانحسار القطاع العام وإهماله، وتنتشر البطالة، ويهمّش التعليم، إذ ما جدوى شهادة علمية لا تضمن لحاملها قوت يومه؟ فضلا عن سوء التخطيط في ميدان التعليم والفجوة بين مجالات التخصص العلمي ومتطلبات سوق العمل، وتحقير العمل اليدوي. وليغفر لنا مؤلف "موسم الهجرة إلى الشمال" إضافة ألف مدّ إلى الواو في "موسم" لنشير إشارة عابرة يكاد ينفطر لها القلب إلى تلك الجماعات من الهاربين من الجنوب بحثا عن الرزق في شمال دونه أهوال، وقد أوصد دونهم أبوابه ولم يبلغوا إلا سرابه وتحولت قوارب فرارهم إلى عبّارات هلاك وقد ظنوها قوارب نجاة.

إن هذه النماذج التي أوردناها ليست سوى جزء من تحديات خطرة يمر بها عالمنا المعاصر، وتفرض على القائمين بالأعمال الخيرية مضاعفة الجهود من أجل المساهمة في إيجاد بعض حلولها، ونقول المساهمة فقط، ولن يجنح بها الخيال إلى إعطاء العمل الخيري وحده دورا لا يستطيع القيام به. ومع إدراكنا جسامة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية ووطأة الفقر في كثير من بلدان العالم، ومنها البلدان الإسلامية، وتأكيدنا أهمية القطاع الخيري ودوره في مواجهتها، فإننا لا نعتقد أن الحلول الملائمة تكمن في تحويل المجتمع إلى مؤسسة خيرية، وأنى لنا وله ذلك! وإنما نرى أن على الدولة الاضطلاع بمسؤولياتها العامة وفرض مراعاة الضوابط اللازمة للعدالة الاجتماعية وتمكين المؤسسات من أداء مهامها وتقوية المؤسسات العامة ودعمها. وما العمل الخيري الذي بينا قيمته في الإسلام، إلا مجهود إضافي يكمل واجبات الدولة تجاه مصالح مواطنيها ولا يحل محلها. ويمكن أن يملأ الفراغ ويسد الحاجة في بعض الحالات، بل يرقى إلى درجة الواجب إذا ألمت بالبلاد أخطار شديدة أو اقتضت أوضاع الأفراد والجماعات مساعدة عاجلة، لكن لا يمكن ترك فئات أو مجموعات عريضة من السكان في حالة استجداء لا يقدرون حتى على الكفاف.

وقبل إنهاء هذا المقال، نود الإشارة إلى أحد آثار ما يسمى بالحرب على الإرهاب، ألا وهو التضييق على بعض الجمعيات الخيرية في البلاد الإسلامية بالخصوص ووصمها بالإرهاب، حتى أن مؤسسات خيرية كبيرة أجبرت على إغلاق أبوابها. وإذا كان للدول الحق في اتخاذ الإجراءات المناسبة للحفاظ على أمنها وسلامتها، ورعاية مواطنيها في أشخاصهم وممتلكاتهم، فليس من حقها التعسف في اتهام أي مؤسسة بأفعال منافية للعمل الخيري دون أدلة قاطعة، ذلك لأن محتاجي الأعمال الخيرية كثر في هذا العالم، وكلما تقلصت النشاطات الخيرية اتسع خرق الضرر الملحق بهم. وبقدر ما نأمل تمكين العمل الخيري من تحقيق أهدافه السامية، بقدر ما نتمسك بوجوب حياده وشفافيته، تمويلا وإنفاقا، وطوعيته وتوجيهه إلى مستحقيه دون سواهم ●

AFP

أحد العاملين بالهلال الأحمر السعودي يقف بجوار عربة إسعاف في وادي منى بالقرب من مكة.

المنظمات الخيرية الإسلامية بعد أحداث سبتمبر

خلفت الوقائع التي جرت في أنحاء العالم بعد أحداث سبتمبر/ أيلول 2001 مشكلات إنسانية متعددة، وأدت إلى تشكيل عقبات متجددة في طريق العمل الخيري أعاقته عن السير في طريقه الصحيح، فقد أصبحت الحركة الخيرية والإغاثية مقيدة بكثير من الأنظمة والقوانين الجديدة التي لم تكن مدروسة ولا عملية، ولم تحقق الأهداف التي وضعت من أجلها.

د. صالح بن سليمان الوهيبي*

كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول 2001 نقطة تحول رئيسة في أداء المنظمات الإنسانية؛ وهي نقطة تحول ألقت أحداثها بظلالها على العمل الإنساني، كما أدت تداعياتها إلى انتكاسة كبيرة في مساعدة المحتاجين والمتضررين، إذ أضرت الإجراءات التي اتبعت نتيجة لها بمختلف أنواع أعمال الإغاثة الإنسانية وجهود تقديم العون الصحي والتعليمي والغذائي. كما تسببت تلك الأحداث في وقف تنفيذ كثير من المشروعات الإغاثية الإنسانية.

من المتضررين، على سبيل المثال، الأسر الفقيرة والأيتام والأرامل والطلاب وسكان مناطق الزلازل والفيضانات. أضف لذلك أن هناك مشروعات تنموية تعطلت كبناء المدارس وحفر الآبار وغيرها من المشروعات التنموية لعدم وصول المستحقات المالية للمقاولين المنفذين لتلك المشروعات. فالمتضرر الحقيقي في واقع الأمر هم الفقراء والمحتاجون من الناس في مختلف البلدان، كذلك من ساقهم قدرهم لأن يتعرضوا لكوارث طبيعية وصاروا يحتاجون إلى جهود كبيرة لإغاثتهم.

نعم، بات العمل الخيري يواجه صعوبات حول العالم بعد أحداث سبتمبر/ أيلول، من خلال فرض المزيد من المضايقات على المتطوعين في العمل الإنساني والإغاثي، الأمر الذي نتج عنه أن أصبحت حركة العمل الخيري بطيئة، وصار إنجاز المشروع الخيري يتطلب ضِعف الفترة الزمنية مقارنة بما كان عليه الحال. وكما ذكرت آنفًا صار المتضررون في ●●●

(*) الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ المملكة العربية السعودية

●●● النهاية هم الفقراء والمنكوبون في العالم أجمع.

ولعل ما يدعو للمزيد من الأسف أننا صرنا نشهد كل فترة ظهور قوانين ونظم تعرقل عمل المؤسسات الخيرية وبرامجها للمجتمعات الإنسانية، وهو ما أفقد دعاوى مكافحة الإرهاب الكثير من مصداقيتها. وبوسعي القول بأنه وقع ظلم كبير على المنظمات الخيرية الإسلامية في كل مكان؛ فقد أضيرت على الساحة الدولية منظمات شهدت لها برامجها وشفافيتها في العمل وسلوكها المنضبط بأنها تؤدي عملها بنزاهة والتزام. ولاشك أن هناك خطأ في المعالجة أدى إلى إيذاء العمل وتجفيف حلوق الأيتام والشيوخ والأطفال وزيادة معاناتهم، وقطع المساعدات عن الطلاب الفقراء لاستكمال تعليمهم.

مؤسسات أُخذت بجريرة غيرها

إن الحقيقة التي يصعب إنكارها هنا، هي أن بعض الدول ضايقت مؤسسات خيرية حقيقية تقوم بعملها على أكمل وجه، ويعد هذا أكبر دليل على أن سوء المعالجة أدى إلى ظلم هذه المؤسسات الخيرية التي أُخذت بجريرة غيرها ولم يكن لها أي ذنب فيما يجري في الساحة. فقد تعرضت الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مثلا، لمضايقات كثيرة أثرت في أعمالها وبرامجها الإغاثية، كغيرها من منظمات العمل الخيري الإسلامي. ونحن من وجهة نظرنا لا نستطيع تفسير الأمر إلا على أنه تحامل مقصود ضد المنظمات الخيرية الإسلامية العاملة في مجال الإغاثة الإنسانية!

لقد أصبحت المؤسسات الخيرية الإسلامية تعاني من حرج في عدة نواحٍ: فقد توقف تحويل الأموال مما عطل وصول ميزانيات المكاتب الخارجية وأخر رواتب موظفي الإغاثة العاملين في هذه المكاتب، وعاق إيصال كفالات الأيتام والأسر الفقيرة والطلاب، وأوقع المؤسسات في حرج مع مقاولين تم التعاقد معهم لإنشاء مشروعات معينة كالمدارس والكليات الجامعية والآبار وغيرها. ومن ثم فقد لحق الضرر بآلاف المحتاجين في عرض العالم وطوله.

قصور وتجاوزات البعض

ما من شك في أن تلك المؤسسات لا تسلم من النقص والقصور في بعض الجوانب التي تحتمل أخطاء البشر وتجاوزاتهم؛ لكن الأمر المستغرب أن يعمم خطأٌ ما ارتكبته منظمة من المنظمات الإسلامية أو فرد عامل فيها ليصبح وصفًا أصيلًا وسمة غالبة تعمم على باقي المنظمات، ويصبح هذا الخطأ أو ذاك مطيَّة لكل من يروم التشهير والتجريح والهدم لكل ما هو عمل خيري! ومن حق المتابع أن يستغرب الإجراءات التعسفية ضد منظمات العمل الخيري، وأجد أن من حقنا أن نوجه سؤالًا لكل العقلاء في العالم: ما ذنب المنظمات النظامية الملتزمة بأهداف وضوابط تقديم العمل الخيري؟ وما دور الأمم المتحدة بشأن التحويلات الموقوفة التي يدفع ثمن توقفها الفقراء والأيتام والمنكوبون حول العالم؟

مؤسسات ليس لديها ما تخفيه

وأحب أن أؤكد أن العمل الخيري الإسلامي عمل مؤسّسي يعتمد على خطط واستراتيجيات، ولا يعتمد على أشخاص. فالمؤسسات الخيرية تعمل وفق النظم المتبعة، وداخل الأطر الرسمية، وتتحرك على المستوى الشعبي والرسمي، وتقوم ببيان أنشطتها للجهات المسؤولة وللجمهور، وحواراتها مفتوحة مع المسؤولين والمحسنين، وأبوابها مشرعة أمام الإعلام المحلي والعالمي ليتعرف الجميع على أنشطتها وبرامج عملها؛ إذ ليس لديها ما تخفيه، فحساباتها معلنة، تدققها مكاتب محاسبية مشهورة، كما أن تقاريرها السنوية تصدر تباعًا.

آلية حيادية ومقترحات للتطبيق

لا شك عندي بأننا بحاجة إلى آلية حيادية تشارك فيها الأمم المتحدة لكي تعيد الأمور إلى نصابها وتفتح الطريق أمام العمل الخيري لمواصلة جهوده على أفضل وجه ممكن. وإلى أن تتم بلورة هذه الآلية بمشاركة الأمم المتحدة فإنني أقترح تطبيق الخطوات والإجراءات التالية:

(1) استمرار دعم الأمم المتحدة لمسيرة العمل الخيري مع حصر الأخطاء في بعض المؤسسات المخالفة، وعدم أخذ البريء بجريرة المذنب أو المتهم، وربط مؤسسات العمل الخيري الإسلامي بالمؤسسات الخيرية الدولية، وإقامة علاقات تعاون معها.

(2) تفعيل الآليات المناسبة لمواجهة الحملات غير العادلة ضد العمل الخيري والإغاثي، كالقيام بنشاط إعلامي متوازن قائم على عرض الحقائق، وعقد مؤتمرات وندوات واتصالات فردية، لتحقيق العدالة المنشودة، وإعطاء مزيد من الحرية للعمل الخيري خاصة في مناطق الكوارث.

(3) بذل عناية خاصة لرفع كفاءة العاملين في القطاع الخيري والمشرفين على تنفيذ برامجه وأنشطته، والحرص على استقطاب كفاءات مدربة تدريبًا رفيع المستوى في مجال العمل الخيري والإغاثي، وتعميم القوانين والتعليمات التي يجب أن يتحلى بها من يعمل في مجال الإغاثة على جميع العاملين في المنظمات الخيرية.

(4) توحيد سياسة العمل الخيري، والتنسيق بين المؤسسات العاملة، والعمل من خلال منهج واضح المعالم مرسوم الخطوات، منهج يقدم الخير بكل وسيلة ممكنة سواء كانت تربوية أو خيرية أو إغاثية أو غيرها للوصول إلى نتائج مثمرة وفاعلة في مجال العمل الخيري.

(5) توفير الحماية اللازمة للمنظمات الخيرية؛ فالناظر إلى كثير من الجمعيات الخيرية الإسلامية في بلدان العالم يجد أنها لم تأخذ حقوقها الواجبة لها، ولم تلق الدعم الكافي لمزاولة أنشطتها، ولم تجد الحماية التي تضمن سير عملها.

(6) التنسيق مع المنظمات الدولية لبيان خطر إعاقة عمل المنظمات الخيرية، وانعكاساته السلبية على مناطق الكوارث والجفاف، والأماكن التي تحتاج إلى رعاية طبية وإنسانية.

ونلاحظ أن أهمية الدعم الدولي والأممي لمنظمات العمل الخيري تزداد مع ازدياد الحاجة إلى مؤسسات العمل الخيري وخدماتها سواء في بلدانها أم في البلدان المستفيدة نظرًا لاحتمال ازدياد نسبة الفقر خلال العقود القادمة، فالزيادة السكانية مطّردة، وعجز الجهات الرسمية عن توفير الخدمات الأساسية في تصاعد، كما أن الكوارث والحروب صارت أشد ضررًا، مما يضاعف من مهمات العمل الخيري، ويضاعف مسؤوليات مؤسساته.

واجب إيضاح الصورة

من جانبنا، وعلى مستوى مؤسستنا (الندوة العالمية للشباب الإسلامي) فقد قمنا بخطوات ملموسة لتوضيح الصورة ووسّعنا مستوى الحوار مع البعثات الأجنبية في الرياض، واستمعنا إليهم وعرضنا وجهة نظرنا، عرفناهم من نحن، وما أهدافنا ووسائلنا، وماذا نريد. كما أطلعناهم على أنشطتنا وبرامجنا ومشروعاتنا، ودعوناهم لزيارة مقر الندوة ورؤية مشروعاتنا. وأود أن أقول: لقد كان حوارًا مثمرًا وإيجابيًا؛ فالبعض منهم كان لديهم نقص في المعلومات، وكان للبعض الآخر وجهات نظر مختلفة، أو لم يكن لديه معلومات دقيقة.

واقع الأمر أنني لست متشائمًا فيما يتعلق بمستقبل العمل الخيري الإسلامي، وأتوقع له مزيدًا من التقدم والعطاء، فالعمل الخيري مستمر لأنه عمل منطلقاته إنسانية خيرية، ويجسد آمال وطموحات الشعوب والحكام معًا. وأدعو المنظمات الإسلامية العاملة في الإغاثة إلى أهمية استعمال الحكمة واستشعار المسؤولية تجاه هذا المهمة الجليلة نحو الفقراء والمتضررين في ظل الواقع الحالي الذي يعيشه العالم. كما أن التنسيق بين منظمات العمل الخيري يجعله يفرض احترامه على الآخرين، ويزيد من إنتاجيته لصالح المجتمعات والمناطق التي تحتاج للدعم الإنساني وللإغاثة.

إن الدفاع عن العمل الخيري واجب إنساني، فالأصل أن يدافع عنه كل من يملك صفات إنسانية، ويتحلى بالشعور بأهمية العلاقات الإنسانية والتعاون بين بني البشر بغض النظر عن ديانته أو جنسه أو لونه، وذلك لأن العمل الخيري رسالة إلى العالم تحمل في طياتها معاني الرحمة والإنسانية والخير والسلام. وأرى أنه يجب تذليل كل العقبات التي تعرقل مسيرة العمل الخيري، مع الإشارة إلى أولوياته في هذه المرحلة وما ينتظره من مستقبل وفق ما نتوقعه.

إننا كمؤسسات خيرية ينبغي علينا أن نسعى لتفعيل دورنا وتحسين أدائنا بتجرد وموضوعية ونظرة عميقة ثاقبة، فالأرض فسيحة وممتدة، والفضاء واسع ورحب يتقبل كل من يُقدّم خدمة أو يمسح دمعة أو يغيث ملهوفًا. والمطلوب من الجميع التعاون في تهيئة الأجواء للتّقارب والتعاون لإنعاش العمل الخيري والحفاظ على هويته الإنسانية، عسى أن نحقق لمجتمعاتنا الحاضرة مزيدًا من الأمن والرخاء، ولأجيالنا القادمة مزيدًا من التفاؤل بمستقبل أفضل ●

"الموتى فقط هم من شهدوا نهاية الحرب"

أفلاطون

"كل الحكمة الإنسانية تتلخص في كلمتين: الانتظار والأمل"

ألكسندر دوماس

كلمات

"لا يوجد أمل بالسعادة سوى في العلاقات الإنسانية"

أنطوان دي سانت إكسوبري

"المولعون بفكرة التقدم لا يخامرهم الشك في أن كل خطوة للأمام هي أيضا خطوة على طريق النهاية"

ميلان كونديرا

سعدي يوسف

"للكلمات قدرة على التدمير وعلى المداواة. وعندما تكون الكلمات عطوفة وحقيقية، يمكنها أن تغير عالمنا"

بوذا

"إنني أقف كليا مع إبعاد الأسلحة الخطرة عن متناول الحمقى. ودعونا نبدأ من الآلة الكاتبة"

فرانك لويد رايت

اكسوبري

"أنا أسكنُ، حقًّا، بين المرئيّ وما ليسَ يُرى
أسكنُ في اللحظةِ
حيث الشيءُ سواهُ
وحيث المرئي لستُ أراهُ"

الشاعر العراقي سعدي يوسف

إدوارد سعيد

"لا توجد ثقافة مكتفية بذاتها"

إدوارد سعيد

"كنت أقول لهم وأقول دائما: إن الماضي يمكن أن يحفظ في الأرشيف، لكن التاريخ هو ما يزال حيا، مستمرا، وفاعلا"

محمد حسنين هيكل

"عندما تكون كل الأطراف مكلفة بتكليفات سماوية، يصبح الوصول إلى تسويات أمرًا بعيد المنال"

يوري أفنيري

أصبح العمل الخيري في العالم أجمع يشكل ظاهرة صحية ونهضة إنسانية تجتمع عليها جميع الأديان. كما أصبح عدد العاملين في هذا القطاع بالملايين. أما التفاعل معه فقد بلغ مستوى راقيا جدا، من نواح عدة ومتداخلة، بين كل من المتبرعين والعاملين والمتطوعين والمستفيدين.

وقد أصبح من الضروري إصدار التشريعات التي تنظم العمل الخيري حتى لا يخضع للابتزاز المالي أو الأخلاقي. وقد تكون هذه التشريعات خاصة بالنظم الإدارية والمالية والأخلاقية وشرف العمل الخيري الإنساني كذلك.

مخالفات صارخة

وهناك من الأمثلة الصارخة في مخالفة أخلاقية العمل الإنساني نماذج متعددة مما حصل في البوسنة والصومال وغرب أفريقيا، وذلك من قبل بعض المنظمات العاملة في هذا النطاق (وهي منظمات غربية) مثل: الاستغلال الجنسي للنساء والأطفال في مخيمات اللاجئين في البوسنة، وحرق الأشخاص في الصومال، والاستغلال الجنسي للأطفال والنساء في مخيمات غرب أفريقيا. (راجع هنا بعض تقارير المنظمات التابعة للأمم المتحدة).

وقد تكون بعض المنظمات بالدول الغربية وأمريكا متقدمة في الجوانب الإدارية والتعبوية مما يجعل حجم التبرعات المقدمة لها يفوق بكثير مثيلاتها في الدول الأخرى، ولكنني أرى أنها متأخرة جدًا في مجال أخلاقية المهنة وإنسانيتها!. وعلى الجانب الآخر نجد أن المنظمات الخيرية الإسلامية لا تتمتع بنفس القدر من التعبوية وحجم التبرعات ولكن تفوقها واضح في مجال أخلاقيات المهنة وشرفها والمحافظة على المال العام وشرف المستفيدين نساء وأطفالًا. فعندما تصل المصروفات الإدارية، في بعض الحالات، مثلا إلى سبعين في المائة من حجم التبرعات لدى المؤسسات الغربية، نجد أن هذا الرقم لا يتعدى بأي حال نسبة العشرين بالمائة لدى المؤسسات الخيرية الإسلامية. لذا فإن من الطبيعي أن تأتي النتائج التي تحققها المؤسسات الإسلامية كبيرة مقارنة بحجم ما لديها من أموال.

عمل تعبدي

ومما لا شك فيه أن الأصل في العمل الخيري هو عمل تعبدي يسعى المتبرع فيه إلى التقرب إلى الله بهذا العمل أو التبرع، وليس كما هو حاصل في بعض الدول الغربية، على سبيل المثال، حيث تقوم الشركات أو الأشخاص بالتبرع للجهات الخيرية تهربًا من الضرائب، أو تلميعًا للسمعة.

ولذا نجد أن التداخل بين العمل الخيري والعمل الدعوى (والتبشيري) من الصعب الفصل بينهما. وبعض المؤسسات المسيحية لا تكتم هذا الأمر، فهي تتحرك بمبدأ التبشير، وفي المقابل نجد أن المؤسسات الإسلامية كذلك تتحرك بمبدأ الدعوة، ولكن الفرق بينهما كما قلنا في مستوى أخلاقيات المهنة وشرفها وأساليبها.

قواعد وأسس عامة لا بد منها للعمل الخيري

في ظل ذلك جميعه، نجد أن هناك ضرورة لإنفاذ بعض القواعد والأسس العامة التي يجب أن يقوم عليها العمل الخيري حتى يصل إلى نتائجه المرجوة، وهي القواعد والأسس التي نجملها في المبادئ الأربعة التالية:

(1) الهدف: والمقصود هنا أن يكون الهدف واضحًا ومحددا لتحقيق الفائدة على وجه الأرض سواء للإنسان أو الحيوان أو النبات.

(2) الأمانة: وهي محور أساس لابد من توافره ويعتمد على عنصرين هما: الصدق والإخلاص.

(3) التضحية: وتتلخص هذه القاعدة في استعداد كل من المتبرع بالتضحية بجزء من ماله، وكذلك في استعداد المتطوع للتضحية بوقته وصحته وماله، حيث يمثل الوقت المال.

(4) المراقبة: ونعني بها استشعار المراقبة الإلهية، وطلب الأجر والمثوبة من الله جزاء العمل والتبرع.

القوانين والتشريعات الحالية: هل هي كافية؟

من وجهة نظرنا نجد أنه لا وجود لأنظمة خاصة بالعمل الخيري تقتصر عليه فقط، نظرا لأن كل عمل خيري يندرج ضمن أعمال أخرى، فهو ليس عملا قائما بذاته، إذ أننا نجد أن جميع الجهات الإسلامية هي جهات دعوية وخيرية في آن معا، ومن الصعب فصل أي من هذين الهدفين عن الآخر. لذا فإن التشريعات والقوانين الموضوعة لا تعد كافية للوفاء بالتعبير عن متطلبات العمل الخيري. وما يعنينا في هذا الأمر أن المؤسسات الإسلامية تستمد تشريعاتها الخيرية من القرآن والسنة. فالزكاة فريضة محددة نسبتها من قبل الله في القرآن، والسنة فيها التفصيل الواقي في هذا الجانب. كما أن الصدقة أيضًا بند يحث عليه الإسلام وبدون تحديد النسبة، وهي مفتوحة نسبة وعملًا ومصارفها تصب في صالح الإنسان المتصدق. كما أن هناك بنودًا أخرى مثل الكفارة، والنذور، والصدقة الجارية والوصايا، والأثلاث. بالإضافة إلى المشروعات الموسمية مثل تقديم الأضاحي وتفطير الصائم، وزكاة الفطر، وجميع هذه الأعمال مقننة في الشريعة الإسلامية إيرادًا وصرفًا، حيث تصرف في بنود مشروعة، فصل فيها الشرع في كتب الفقه. والدين الإسلامي هو الدين الوحيد، حسب علمي، الذي يحدد نسبة للإنفاق الخيري بما فيها الوصية بعد الموت وهي الثلث، وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم «والثلث كثير»، كحد أعلى، والسبب «خير لك أن تجعل ورثتك أغنياء».

كما أن هناك شروطًا أساسية في المتعهد بصرف المال، أولها الأمانة في التصرف فيما يعهد إليه. وهذا الشرط موجود حاليًا في الجمعيات الخيرية التي وجد المتصدقون فيها كل الأمانة والصدق وحسن الأداء.

والملاحظ لغالبية المؤسسات الإسلامية الخيرية يجد أنها مرتبة إداريًا وماليًا وفق أسس وقواعد العمل المؤسسي، مع وجود بعض النواقص لدى البعض، وكل ما يشاع عنها مجرد أكاذيب للنيل من مصداقيتها ولأسباب سياسية معروفة.

ما المطلوب حقًا لتنظيم العمل الخيري اليوم؟

من خلال التجربة المتواضعة والمعطيات وملاحظة النواقص الميدانية أورد هنا بعض المقترحات التي تتضمنها النقاط التالية:

(1) ضرورة وجود جمعيات متخصصة في العمل (إغاثة/ كفالة يتامى/ أضحية/ بناء مساجد ودور للايتامى/ حفر الآبار.. إلخ) لتفادي التكرار.

(2) التعاون والتنسيق الميداني قبل وأثناء الكوارث بين الجمعيات في البلد الواحد، ثم الإقليم الواحد، تمهيدا للوصول إلى تنسيق أكبر على مستوى دولي، (مظلة تنسيقية).

(3) توحيد الجهود للدفاع عن العمل الخيري ضد الهجمة الشرسة، مما يعني ضرورة وجود مستشار قانوني لكل جمعية ومستشارين على مستوى دولي أيضًا، أسوة بالمستشار والمدقق المالي.

(4) يستدعي التنسيق وجود مركز معلومات عن الجمعيات العاملة في الميدان، مع تبادل الخبرات، وكذلك يستدعي الأمر إنشاء مراكز تدريب للعمل الخيري، مما يمهد الطريق إلى بناء القدرات بشكل أفضل وصولًا إلى مستوى الإدارة الرشيدة.

(5) ضرورة وجود مجلات وصحف تختص بنشر أخبار وقضايا العمل الخيري.

(6) وجود جهاز إداري مركزي على مستوى الأقاليم لتنظيم وتأطير العمل الخيري من خلال إعداد لوائح العمل، والسياسات والأنظمة لضمان الأداء الأمثل، وصولا لصياغة خطة استراتيجية متكاملة بين المؤسسات العاملة في القطاع الخيري.

(7) اعتماد التخطيط التنموي كأساس للعمل وليس الاكتفاء باستدعاء الحالات الطارئة بعد حدوثها (الفزعة)، مع ضرورة وجود نظام للاستشعار متواصل مع نظام جماعي للتحرك الفوري والفعال نحو مناطق الكوارث بوجود طريقة تضمن استمرارية الدعم اللوجستي.

(8) ضرورة التواصل المستمر مع المنظمات العالمية التابعة للأمم المتحدة والمنظمات الأخرى سوء أكانت مسيحية أو غيرها، أي التواصل مع الآخرين تحت عبارة القواسم المشتركة للعمل الإنساني تمهيدًا للعمل بشراكة متكافئة بين الجميع، مما يعني المزيد من التفاعل والتكامل الحضاري والثقافي خاصة في العمل الإنساني مع تبادل للخبرات سواء العملية الميدانية أو أخلاقيات العمل وتأكيد مبدأ الكرامة الإنسانية جمعاء.

(9) العمل تحت شعار «ميثاق الشرف للعمل الإنساني» وهو ما يعني النظر بشفافية نحو المحتاجين وبما حث عليه الدين الإسلامي الحنيف، «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (قرآن كريم)، و«في كل كبد رطبة أجر» (حديث شريف).

عمل يستمد ديمومته من علاقة الفرد بربه

إنني أجد أنه بشيء من التفاعل مع هذه الملاحظات، التي ذكرتها آنفا، يمكننا الوصول إلى نتائج أفضل بما يساعدنا على تفعيل هذا القطاع المهم في العالم على نحو إيجابي، وليس كما هو حاصل عبر محاولة تحجيمه من خلال اتهامه زورا بتهمة باطلة وإنما لأسباب سياسية بحتة وليست قانونية.

والخلاصة أن العمل الخيري جزء لا يتجزأ من العبادة فيما هو معروف في الأديان ولا يمكن فصله بقوانين وضعية، فهو يستمد قوته وديمومته من علاقة الإنسان بربه.

وهنا أختم بالقول: "من عاش لنفسه عاش متبعا. ومن عاش لغيره، عاش كبيرًا ومات كبيرًا" ●

الملاحظ لغالبية المؤسسات الإسلامية الخيرية يجد أنها مرتبة إداريًا وماليًا وفق أسس وقواعد العمل المؤسسي، مع وجود بعض النواقص لدى البعض، وكل ما يشاع عنها مجرد أكاذيب للنيل من مصداقيتها لأسباب سياسية معروفة.

التداخل بين العمل الخيري والعمل الدعوى (والتبشيري) من الصعب الفصل بينهما. وبعض المؤسسات المسيحية لا تكتم هذا الأمر، فهي تتحرك بمبدأ التبشير، وفي المقابل نجد أن المؤسسات الإسلامية تتحرك بمبدأ الدعوة.

ماهية العمل الخيري؟

AFP

حسن يوسف*

(*) المدير الإداري للجمعية الإسلامية بالبحرين.

من أين تستمد المنظمات الخيرية الدينية مصداقيتها وسلطتها؟

هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية نموذجا

كتب هذا المقال في استجابة كريمة من الدكتور عدنان خليل باشا لطلب من "الإنساني" للرد على سؤال: من أين تستمد المنظمات الخيرية الدينية مصداقيتها وسلطتها؟

تستمد المنظمات الخيرية الإسلامية مصداقيتها من خلال ما تبذله من جهود ملموسة في مجال العمل الإنساني والخيري في أنحاء العالم، وما تقدمه من مساعدات للمحتاجين والمتضررين من آثار الكوارث الطبيعية والبشرية والتي استطاعت من خلالها فرض وجودها على ساحة العمل الخيري العالمي وكسب ثقة المتبرعين والمسؤولين في مختلف المناطق المتضررة وغيرها.

وإذا أخذنا على سبيل المثال هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية نموذجا مشرفا لهذه المنظمات الخيرية نجد أنها أخذت الدور الريادي في مجال العمل الخيري والإنساني لما تتسم به من شفافية ومصداقية في جميع أنشطتها المتعددة (إغاثية ـ تنموية ـ صحية ـ تربوية ـ اجتماعية .. وغيرها) إلى جانب اهتمامها بذوي الاحتياجات الخاصة بالتعليم والتأهيل .. إضافة إلى روح التطوع والاعتماد على الذات والمبادرة إلى التعاون والتنسيق مع الجمعيات والمؤسسات والهيئات ذات الأهداف المشابهة امتثالا لقول الله عز وجل «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان».

مساعدة للاجئين في 27 دولة

لقد امتد نشاط هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية إلى العديد من الدول في جميع قارات العالم حيث نشرت هناك مساحات شاسعة من العناية والاهتمام وسط اللاجئين في 27 دولة من التي تقف فوق بركان من النزاعات والحروب والصراعات التي أفرزت أعدادًا هائلة من اللاجئين والمنكوبين والمتضررين في: إثيوبيا، وإريتريا، والسودان، وليبيريا، وسيراليون، ومنطقة البحيرات العظمى، والصومال وغيرها من الدول.

وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية إذ تطرح للجميع هذا السجل الحافل بالخدمات الإنسانية تجاه الفئات المحرومة فهي تسعى مع وصيفاتها من المنظمات الإنسانية الأخرى إلى تقديم المزيد من المساعدات وتثبت للجميع أنها ما توصلت إلى هذا النجاح إلا بالمصداقية التي اكتسبتها طوال عقود طويلة والشفافية التي ربطت بينها وبين المتبرعين عبر تسجيل حي بالصور المتحركة والصور الثابتة لمراحل تنفيذ كل مشروع خيري، والاستفادة من الإعلام في عرض هذه الإنجازات المشرفة وتطبيق

AFP

ومن الذي يراجع أعمالها؟ أهي نفسها؟ أم المستفيدون؟ أم المانحون؟ وذلك في محاولة لإيضاح هذه الأمور من قبل أحد القائمين على العمل الخيري الإسلامي.

العمل الميداني الذي ينقل كل الحقائق حتى يكون الرأي العام شاهدا على هذه الإنجازات.

إن التعاون المفتوح الذي تقوم به الهيئة مع كافة الجهات الرسمية في الدول المعنية بتنفيذ المشاريع الخيرية أتاح فرصة كبيرة لتدعيم هذه المصداقية كما أن التعاون مع العديد من المنظمات الدولية كمنظمة غوث اللاجئين الدولية ومنظمة اليونيسيف والعديد من المنظمات الأخرى أضاف بعدا آخر لعمل

د. عدنان خليل باشا*

الهيئة وأكد صدقيتها في هذا المجال.

نظام رقابي

وكان لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ولا يزال نظام رقابي على الأموال والتبرعات

(*) الأمين العام لهيئة الإغاثة الإسلامية – جدة.

والهبات التي ترد إليها من المتبرعين الكرام فمكاتبها تعرض المشاريع والبرامج على المتبرعين الكرام، وتستقبل تبرعاتهم عبر حسابات الهيئة في البنوك المحلية أو في مكاتب الهيئة وفق سندات قبض رسمية تودع حصيلتها في حساب الهيئة الرئيسي، وتتم الرقابة على الصرف عبر حلقات متعددة تتمثل –أولًا– في الرقابة المالية قبل الصرف –وثانيًا– في الرقابة الداخلية بعد الصرف وهي جهاز مستقل يتبع مجلس الإدارة بالإضافة إلى مراجع حسابات قانوني دولي يعينه مجلس الإدارة سنويا يقوم بإصدار الحسابات الختامية للهيئة.

وتحرص الهيئة على تقديم موازنة سنوية لمجلس الإدارة تشمل أدق التفاصيل لكل مشروع وتكلفته التشغيلية ثم تقوم بتسويقه على المتبرعين الكرام وإذا توفر مصدر التمويل يتم الصرف عبر البنوك الرسمية سواء كانت بالمملكة أم في الدول المستفيدة.

وهناك دليل محاسبي موحد لجميع المكاتب المحلية والخارجية لإحكام الرقابة على دورة الصرف والتحصيل وإحكام الدورة المحاسبية والمستندية بالمكاتب مما لا يتيح مجالًا للاجتهاد مع متابعة المكاتب من خلال إرسالها لموازين مراجعة شهرية تُوضح حركة الحسابات بالمكتب عبر مراجعة ورقابة بمكاتب الهيئة الخارجية حيث تخضع لمكاتب محاسبين قانونيين محليين تتولى المراجعة والتدقيق لحساباتها وتعطى صورة منها للجهات الرسمية في تلك الدول، إضافة إلى كل ما سبق فإن الهيئة تقدم خطة عملها ونوعية مشاريعها وبرامجها للجهات الحكومية بالدول المستفيدة عند الطلب، مع ورود تقارير دورية والقيام بزيارات ميدانية لمعرفة الوضع المالي والإداري للمكتب إضافة إلى تسديد المكاتب الخارجية للدفعات السابقة والتأكد من التزاماتها وتقيدها بالميزانية المعتمدة والتحقق من أن جميع المبالغ قد صرفت في الأوجه المخصصة لها.

أما مراجعة أعمال الهيئة بصفة عامة فتخضع لتوثيق قانوني ومحاسبي شفاف يتيح لكل من يريد أن يتأكد من حقيقة هذه المعلومات والأرقام أن يجد المعلومة المتكاملة وأن يصل إلى أوجه الصرف والمبالغ التي صرفت لأي مشروع خيري في أي مكان في مختلف أنحاء المعمورة.

ومن عرض هذا النموذج يتبين مصدر المصداقية لدى المنظمات الخيرية الإسلامية كما تتبين الجهات التي تراجع أعمالها. وقد أخذنا هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية نموذجًا ●

التوفيق بين مبادئ الحركة الدولية والواجبات الإسلامية

AFP

تسعى المنظمات العاملة في المجال الإنساني إلى ضمان تقديم الخدمات الإنسانية للمتضررين من الكوارث الطبيعية والنزاعات المسلحة وصون كرامتهم ويقع على عاتق هذه المنظمات عبء توفير المساعدات الإنسانية وفقًا للمبادئ الأساسية للحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر.

وقد تعهدت الحركة الدولية باحترام هذه المبادئ الأساسية دون تمييز بسبب العرق أوالجنس أو اللغة أو الدين، فجميع الناس يولدون أحرارًا ومتساوين في الكرامة وفي التمتع بجميع الحريات ويشكل الالتزام باحترام هذه المبادئ الواردة في ديباجة دستور الحركة شرط الانتماء إلى هذه الحركة.

وبالنظر إلى هذه القيم الإنسانية، أي عدم التمييز والحياد والاستقلال والخدمة التطوعية والوحدة العالمية نجد أن هذه المبادئ تتفق مع الواجبات الإسلامية التي تكون في بعض الأحيان أوسع شمولًا وأبلغ تأثيرًا لارتباط المسلمين بهذه الواجبات التي تكون في الغالب مستمدة من التشريعات الواردة في الكتاب والسنة.

الشريعة الإسلامية ومبدأ عدم التمييز

وقد ركزت الشريعة الإسلامية بصفة خاصة على مبدأ عدم التمييز كأحد المبادئ الجوهرية في تقديم العون والخدمات الإنسانية في السلم والحرب دون تمييز عرقي أو ديني، وخير دليل على ذلك غزوات النبي صلى الله عليه وسلم والتي عامل فيها الأسرى والجرحى من المشركين معاملة إنسانية تبينها جميع وثائق القانون الدولي الإنساني، وأبلغ مثال للوفاق بين مبادئ الحركة والواجبات الإسلامية خطبة الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ التي أوصى بها جيوش المسلمين في السنة العاشرة للهجرة الموافقة 634 ميلادية تقريبًا.

«أيها الناس قفوا أوصيكم لعشر فاحفظوها عليّ:

لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له وسوف تقدمون على أقوام يأتونكم بآنية فيها أنواع الطعام، فإذا أكلتم منه شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليه».

وأوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم استخدام الجرحى في الحروب "لا تقاتل بمجروح فإن بعضه ليس منه" وكذلك بعدم التعرض بأذى لعمال الزراعة والأطفال وذلك بقوله "لا تقتلوا ذرية ولا عسيفا" فالذرية هم الأولاد والعسيف هو العامل الذي يفلح الأرض ويزرعها، أما بالنسبة للنساء فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم التعرض لهن إلا إذا حملن السلاح في وجه المسلمين حيث إن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما رأى امرأة قتيلا من المشركين قال لا نما من قتلها أو أذن بقتلها ما كانت هذه لتعامل.

ولأن الإسلام هو أساس الحق والعدل والمساواة ومصدر الرحمة والذي هو بفضل الله دستور الحكم ومصدر التشريع في المملكة العربية السعودية، فهذا ما يؤكد اهتمام المملكة بالمبادئ الأساسية للحركة وبالقانون الدولي الإنساني الذي تنطلق بنوده من اتفاقيات جنيف لعام 49 والبروتوكولين الملحقين بها، وهي تهدف إلى حماية الإنسان من القتل والقهر وحفظ كرامته وهذا الهدف يتفق مع تعاليم الإسلام.

الفضيلة والعدالة والوفاء بالعهد

وفي الحضارة الإسلامية نجد أن الأخلاق الحميدة كانت نبراسًا يهتدي به الخلفاء والقادة العرب المسلمون في حروبهم ضد الآخرين، حيث شكلت مبادئ الفضيلة والعدالة والوفاء بالعهد أهم المبادئ في تصرفات العرب والمسلمين بين بعضهم البعض أو في علاقاتهم بشكل خاص في إفشاء السلام بتحية الإسلام وفي أسلوب الأمان الذي يمنحه المسلمون لأبناء بقية الشعوب، وليس من قبيل التعصب القومي أو الديني أن نؤكد بأن العرب المسلمين هم الأمة الأولى التي رفعت المبادئ الأخلاقية إلى مستوى القواعد الشرعية الإلزامية في مجال مساعدة الشعوب الأخرى سواء كان ذلك في حالة السلم أو الحرب.

ولكوني من أبناء المملكة العربية السعودية، فلا يجوز لي أن اغفل المساهمات الإنسانية الكبيرة النابعة من إيماننا بالمبادئ الإخلاقية للدين أو للمبادئ الأساسية للحركة في مساعدة الشعوب الأخرى في أوقات الكوارث الطبيعية والنزاعات ـ وأوضح مثال لذلك المساعدات التي تقدمها حاليًا إلى إخواننا في باكستان وفي السودان وفي غيرها من البلاد والتي تفوق المليار دولار.

والحقيقة في هذه المقارنة بين مبادئ الحركة الدولية والواجبات الإسلامية هي إبراز مساهمة الإسلام في صياغة هذه المبادئ.

إن التوفيق بين مبادئ الحركة الدولية والواجبات الإسلامية في رأيي يجب أن تتشربه الأجيال الجديدة والأطفال، غير أن هذا لا يكفي، فإن عموم الناس يجب أن يكونوا عارفين بهذه القواعد وهذه الواجبات ويمكن أن تلعب وسائل الإعلام دورًا هامًا في هذا الخصوص من خلال الإشارة بالاستمرار إلى القيم الأساسية عند قيامها بنقل الأخبار أو التعليق على الأحداث التي تجري على الساحة الدولية ـ وأن هذه المبادئ لا يمكن فهمها فهما جيدا دون التفكير والتأمل فيها جيدًا ـ ومن الضروري أيضا تدريس القانون الدولي الإنساني في الجامعات المتخصصة كجزء من مواد القانون ●

د. صالح بن حمد التويجري*

(*) رئيس جمعية الهلال الاحمر السعودي بالإنابة

المقاصد الخيرية الإسلامية
لكل إنسانٍ ولكل الإنسان

د. هشام نشابه*

اقترن اسم جمعية "المقاصد" منذ نشأتها وحتى اليوم بالانفتاح والتسامح والوعي الإنمائي الشامل " لكل إنسانٍ ولكل الإنسان".

فالمقاصديون انطلاقًا من هذا الوعي، ومن وعيهم الوطني، فهموا العمل الخيري على أنه عمل لخير الإنسان دون تفريق أو تمييز، وأن العدل، والمساواة في الفرص، والحق بالحياة الكريمة، وبالرعاية الصحية والتربوية والاجتماعية، هي أساس الاستقرار والتقدم في المجتمع.

على هذه الأسس نشأت وازدهرت جمعية المقاصد حتى أصبحت قبيل الحرب اللبنانية تضم مائة وعشرين مدرسة في المناطق الريفية في لبنان. وكل هذه المدارس مجانية. كما ضمت ثماني عشرة مدرسة في العاصمة بيروت، ومستشفى هو حتى اليوم من كبرى المؤسسات الاستشفائية في لبنان، وستة مستوصفات في بيروت وخارجها، ومرافق اجتماعية وحركات شبابية كالدفاع المدني وكشافة المقاصد.

دور بارز خلال الحرب

أثناء الحرب الأهلية في لبنان (1975–1990) عندما شُلّت أعمال الدولة، أو كادت، تحملت المقاصد أعباء جسيمة أرهقت موازنتها وأجهزتها العاملة. فقد اختارت المقاصد أن تستمر في تقديم خدماتها الصحية والتربوية في الظروف المأساوية التي كان لبنان يعاني منها، فبذل القيّمون على المقاصد والعاملون في مرافقها الصحية والتربوية والاجتماعية جهودا وتضحيات مشهودة. وكان إيمان المقاصد راسخا بأن العمل الإنساني في الأوقات العصيبة هو معيار النجاح في أداء رسالتها والوفاء للمجتمع الذي نذرت نفسها لخدمته. كما آمنت جمعية المقاصد بأن المجتمع اللبناني لابد أن يستعيد حيويته وازدهاره. وبالفعل، أخذت جمعية المقاصد تلتقط أنفاسها بعد الحرب، فوضعت الخطط الإصلاحية والتجديدية والإنمائية الشاملة وبدأت بتنفيذ هذه الخطط وفق برنامج مدروس. ولا تزال هذه الخطط تأخذ طريقها للتنفيذ حتى اليوم.

وتجدر الإشارة إلى أنه عندما نشأت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت في سنة 1878 م كانت رياح التجديد والتغيير تهبّ على البلاد الواقعة تحت حكم الدولة العثمانية. فقد وعى قادة الرأي آنذاك أن الإنسان في الدولة العثمانية محروم من حقوق أساسية، أهمها حق التعلم. وقد أدى تقصير الدولة في هذا المجال إلى مبادرة جمعيات خاصة، وطنية وأجنبية، إلى إنشاء المدارس التي تقدم التعليم مجانًا للتلامذة.

وفيما كانت أغلب هذه الجمعيات تعير الذكور من التلامذة الاهتمام الأول حرصت جمعية المقاصد أن توجه اهتمامها، بالدرجة الأولى، لتعليم البنات. فكانت أول مدرستين أنشأتهما لتعليم البنات، ثم تلى ذلك إنشاء المدارس للبنين.

ما من شك أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول 2001، وما رافقها من تضييق على المنظمات الخيرية الإسلامية في العالم، قد أثرت سلبا على جمعية المقاصد، وما تزال آثار هذه الأحداث ملموسة حتى اليوم.

وقد رافق الحرص على تعليم البنات مسيرة الجمعية طوال تاريخها إلى أن أصبحت مدارس المقاصد اليوم في غالبيتها الساحقة مختلفة، للبنين والبنات على حد سواء.

ومع أن جمعية المقاصد أصبحت بعد تأسيسها بوقت قصير، كبرى الجمعيات الإسلامية في لبنان، ونموذجا معتمدا للجمعيات الخاصة في لبنان وخارجه، سوى أن جمعية المقاصد في بيروت ما لبثت أن توسعت أهدافها لتشمل مختلف جوانب الرعاية الاجتماعية بما في ذلك الرعاية الصحية ومساعدة المحتاجين فضلا عن التربية والتعليم.

وبينما كان عمل الجمعية في بداية عملها مقتصرا على المجتمع البيروتي، ما لبثت أن توسعت في نطاق عملها خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، لتشمل أنشطتها التربوية المناطق الريفية أيضا.

البعد عن التقوقع والتزمت

ومع أن الجمعية حافظت دائما على طابعها الإسلامي، سوى أنها لم تكن يوما متقوقعة ولا متزمتة. فاجتذبت إليها الأساتذة الأكفاء من المسيحيين ولم يشعر هؤلاء أنهم غرباء في المقاصد. وحرصت أن تبقى علاقات الود والتعاون مع جميع المدارس في لبنان.

كما حاولت المقاصد، أن تجتذب التلامذة من غير المسلمين. غير أن جهودها في هذا السبيل كانت محدودة النجاح، لأن مدارس الإرساليات المسيحية كانت عديدة في لبنان وتتمتع بإمكانيات سمحت لها باجتذاب التلامذة المسلمين إليها فضلا عن المسيحيين.

أما في مجال الرعاية الصحية والاجتماعية، فقد كانت مؤسسات المقاصد دائما منفتحة تستقبل جميع الناس دون تمييز.

أثر الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول

ما من شك أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول 2001، وما رافقها من تضييق على المنظمات الخيرية الإسلامية في العالم، قد أثرت سلبا على جمعية المقاصد، ولا تزال آثار هذه الأحداث ملموسة حتى اليوم. ولكن جمعية المقاصد معروفة عند القريب والبعيد بأنها "إسلامية" ولكنها ليست سياسية ولا طائفية بالمعنى الضيق، وأنه لا تعصب فيها ولا تزمت.

فجمعية المقاصد "إسلامية" بمعنى أنها تستوحي من الإسلام قيمها وأخلاقياتها ومقاصدها الخيرية. فقد ترفعت جمعية المقاصد عن المشاركة في العنف الذي رافق الحرب اللبنانية وهي تترفع دوما عن العنف الذي يعرض حقوق الناس للهدر وممتلكاتهم للدمار. وإن تاريخ المقاصد الناصع خير دليل على التزام المقاصد بهذه المبادئ.

لقد أرست جمعية المقاصد عبر تاريخها أسسًا للتعامل مع الأزمات وقدمت خدمات إنسانية هي خير دليل على نبذها للإرهاب بجميع أشكاله. ولعل اتباع النموذج المقاصدي في العمل الخيري الإنساني هو خير ما يمكن أن تقدمه جمعية المقاصد للجمعيات الخيرية الإسلامية في العالم لدرء الشبهات عنها.

تعاون بناء

تتعاون جمعية المقاصد في مختلف مجالات عملها مع الجمعيات الوطنية والدولية، ومنها الصليب الأحمر والهلال الأحمر. وما كان لهذا التعاون أن يتم لولا ثقة جمعية المقاصد بنبل الغايات وسمو الأهداف التي تعمل من أجلها حركة الهلال الأحمر والصليب الأحمر. ويتخذ هذا التعاون أشكالًا متعددة. فمرافقها الاجتماعية المتمثلة بجهاز العمل التطوعي وجمعية سيدات المقاصد وجمعية كشافة المقاصد والدفاع المدني المقاصدي فضلا عن مستشفى المقاصد، كلها تتعاون مع جمعيتي الصليب الأحمر والهلال الأحمر. كما يشارك طلبة المقاصد في الأنشطة التي تنظمها الجمعيتان الإنسانيتان، كالحملات الإعلامية، وحملات التوعية الصحية، والدورات التدريبية على شتى المستويات.

وتجدر الإشارة إلى أن تلامذة المقاصد في بيروت اليوم هم حوالي 7000 تلميذ وتلميذة وعدد أفراد جمعية كشافة المقاصد هم حوالي 1200 تلميذ وتلميذة.

غير أن مجال التعاون لا يزال واسعا خاصة على صعيد مؤسسات التعليم العالي. فلجمعية المقاصد ثلاثة معاهد عليا، الأقرب منها للتعاون مع الصليب الأحمر والهلال الأحمر هو معهد التمريض العالي الوطني الذي هو اليوم من أعرق المعاهد اللبنانية في هذا المجال.

عمل ضروري

يجب علينا الانتباه إلى واقع لا يجوز التغاضي عنه بعد اليوم، وهو أن العمل الإنساني، في أي من مجالاته، لم يعد عملا هامشيا أو ذا أهمية ثانوية. بل إن الدول باتت تعمل على إشراك المجتمع المدني، أي الجمعيات الخاصة في مختلف نشاطاتها وخاصة في العمل الإنساني. وفي قمة الخرطوم الأخيرة (2006) أكد الرؤساء العرب على دور المجتمع المدني في المجتمعات العربية وضرورة الاعتماد على إسهاماته لتحقيق التنمية الشاملة والمستمرة.

إن الدور المتنامي للمجتمع المدني يفرض على الجمعيات الخاصة مسؤولية كبرى. لعل أولى هذه المسؤوليات وضع الأطر الإدارية والعملية للتعاون بين القطاعين العام والخاص، بحيث تتكامل أدوارهم ولا تتعارض، وتتفاهم ولا تختلف، وتتنافس دون أن تعرقل عمل بعضها البعض. فمجال الخدمة العامة واسع جدًا والحاجة إلى جميع الجهود الخيرية ماسة.

غير أن التنسيق والتعاون يحتاجان إلى عقل إداري منظم، وخبرة في العمل المشترك. فالجمعيات في المجتمع العربي عمومًا غالبًا ما تعمل منفردة، لأنها تفتقر إلى الخبرة اللازمة للقيام بالعمل التنسيقي فيما بينها. والجمعيات الصغيرة تخشى أن تبتلعها الجمعيات الكبرى، ولعل هذا الخوف في محله في بعض الأحيان. لذلك يجب دائما تقسيم الأدوار بحيث تبقى للجمعيات خصوصياتها، واستقلاليتها، وتجد في التعاون والتنسيق قوة لها ودعمًا لنشاطها. كما أن التعاون والتنسيق لا يعنيان بالضرورة استفادة الجمعية الصغيرة ماديًا من الجمعية الكبيرة، ولا العكس، بل إنه يعني بالدرجة الأولى توزيع الأدوار وتكاملها في السعي لعمل خيري وإنساني مشترك.

إن هذا ما عملت، وتعمل على أساسه جمعية المقاصد في تعاملها مع العديد من الجمعيات التي تتعاون معها في ميادين التربية والصحة والعمل الاجتماعي. ولنا على ذلك أمثلة عديدة لا يتسع المجال هنا لذكرها.

آفة التحيز والتمييز

إن آفة العمل الإنساني التحيز والتمييز على أساس الدين أو العرق أو اللون أو النوع. فالناس كلهم سواء في حقوقهم الإنسانية "كأسنان المشط". ولذلك يكثر الحديث عن ضرورة "الحياد" في العمل الإنساني. غير أن "الحياد" في هذا المجال يحتاج إلى توضيح. فالحياد يمكن أن يكون سلبيا. والحياد المطلق مستحيل. إن العمل الإنساني متحيز للأضعف من بين المستضعفين وللأكثر حاجة من بين المحتاجين، سواء كانت الضعف أو كان الحاجة في الخدمات التربوية أو الصحية أو الاجتماعية. وعلى هذا الأساس يحق للجمعيات الأضعف والأكثر حاجة بأن تطلب من الجمعيات الكبرى ومن المجتمع الدولي، أن يكون "متحيزا" للأضعف والأكثر حاجة، لا محايدًا. إن العدل هنا يقضي بأن ننتصر للمستضعفين والمعذبين في الأرض وهذا جوهر العمل الإنساني...

أما التحيز والتمييز على أساس الدين أو العرق أو اللون أو الجندر فجريمة بحق الإنسانية حيثما وُجد.

لقد جعلت جمعية المقاصد شعارها العام الآية الكريمة: "وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا"، وجعلت شعارها الخاص للمرحلة الراهنة من تاريخ لبنان "العطاء مستمر". هكذا، باختصار، عّبرت المقاصد عن رسالتها في خدمة الناس. فعسى أن يصبح "العلم والعطاء" شعارًا لبناء مجتمع إنساني أفضل ●

(*) رئيس مجلس إدارة المعاهد العليا بجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.

د. هاني البنا:

ينبغي أن تكون حيادية المساعدات وعدم تحيزها بالمعنى الإيجابي وليس السلبي. إذ يتوجب علينا مساعدة حتى من نعتقد أنهم أعداء للإنسانية عندما يحتاجون إلى عون منا.

الإغاثة الإسلامية:

تقديم المساعدة بغضّ النظر عن الدّين أو العِرق أو الثقافة

لعبت الإغاثة الإسلامية ولا تزال أدوارا هامة في تقديم المساعدات الإنسانية في الشيشان وفلسطين وأفغانستان وغيرها من البلدان، وهي إحدى الهيئات الإنسانية الموقعة على مبادئ السلوك المهني للحركة الدولية للصليب الأحمر والمنظمات غير الحكومية بشأن إغاثة الكوارث. هذه المنظمة الإنسانية الإسلامية يرأسها الدكتور هاني البنا الذي كان للإنسان معه هذا الحديث.

■ **تتمتع الإغاثة الإسلامية بتاريخ طويل في مجال العمل الإنساني. فما هي الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها اليوم؟ وما هي إنجازاتها الرئيسية في العمل الإنساني في ظل الظروف العالمية القائمة؟**

تعمل منظمة الإغاثة الإسلامية منذ 22 عاما، وهي تكرس جهودها إلى تخفيف فقر ومعاناة شعوب العالم الأكثر فقرا سواء نتيجة لكوارث الطبيعة أو الكوارث التي من صنع الإنسان، وسوف تواصل عملها هذا. كما تتطلع منظمة الإغاثة الإسلامية إلى المزيد والمزيد من التوسع في أنشطتها حتى تتمكن من تقديم المزيد إلى أكثر الناس تعرضا للكوارث وأكثرهم تضررا. والهدف هو محاولة العمل مع المجتمعات الأكثر ضعفا من أجل حل مشاكلهم قبل أن تبدأ أو قبل تحولها إلى كوارث. إضافة لذلك، تعمل منظمة الإغاثة الإسلامية جاهدة مثلها مثل أي منظمة غير حكومية دولية أخرى، وتود أن يُنظر إليها على نفس المستويات الدقيقة التي ينظر بها إلى نظيراتها الغربية. لذا نالت منظمة الإغاثة الإسلامية كثيرا من الاحترام فيما بين الأطراف الرئيسية الفاعلة في القطاع الإنساني، على المستويين الوطني والدولي، وأيضا بين المستفيدين والمانحين على حد سواء. واستطاعت العمل بين المجتمعات الأكثر ضعفا وتمكينها من تحقيق مقدراتها. أكثر من ذلك أن المنظمة استطاعت، ولا تزال تستطيع، الوصول إلى أماكن لم تتمكن منظمات أخرى من الوصول إليها.

■ **قيدت أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول كثيرا من عمل المنظمات غير الحكومية الإنسانية الإسلامية، فكيف واجهتم هذا الوضع؟ وكيف تقدرون آثاره؟**

لقد تأثر العديد من المنظمات الإسلامية بالفعل بسبب ما نجم عن هذه الأحداث بغض النظر عن منظمة الإغاثة الإسلامية التي قامت بعملها كالمعتاد فيما بين المجتمعات الأكثر ضعفا، دون إخفاء شيء، وعملت بصراحة وأمانة وشفافية تامة. لقد تغلبنا على موجة الشكوك، وأثبتنا روحنا الإنسانية الحقيقية التي أعطت لمنظمة الإغاثة الإسلامية مصداقية في عملها بين المنظمات الدولية الأخرى، وبين المنظمات غير الحكومية الإسلامية. كما أننا نساعد منظمات غير حكومية أخرى من خلال بعض مشاريعنا لاتباع مناهج وسياسات عمل تعكس الأمانة والعمل الجيد الذي يقومون به. ولكن كما ذكرت آنفا، فإن الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول كانت له آثاره على جميع المنظمات غير الحكومية، ولكن عملنا تحدث عن نفسه.

■ **في رأيكم، كيف يمكننا قيادة عمل المنظمات الإنسانية الإسلامية غير الحكومية دون تغيير مسار أنشطتها ذات التوجه الإنساني، مع البقاء في الوقت نفسه بمنأى عن الشكوك؟**

إن أفضل الطرق لتحقيق ذلك هو العمل في شفافية ومحاسبية، والعمل على أساس الاحتياجات وليس لأي سبب آخر. والتأكد، فضلا عن ذلك، من أن مدونة السلوك الإسلامي والأخلاق الإسلامية يتم تنفيذها، وبالتالي يفي العمل بالهدف المرجو منه.

■ **تعمل منظمة الإغاثة الإسلامية في تعاون مع الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر. فإلى أي مدى يسترشد عملها بمبادئ الحركة؟ ما هي أشكال التعاون المختلفة بين منظمتكم وعناصر الحركة المختلفة؟**

عقدت الإغاثة الإسلامية مقارنة بين المبادئ الأخلاقية لمدونة الصليب الأحمر والهلال الأحمر والسور القرآنية والأحاديث ذات الصلة، ونتج عن هذه المقارنة قرار اعتماد منظمة الإغاثة الإسلامية لمدونة الصليب الأحمر والهلال الأحمر. وبالتالي، أدرجت النقاط العشر لمدونة الصليب الأحمر والهلال الأحمر ضمن الـ 32 نقطة التي تتضمنها مدونة السلوك الخاصة بمنظمة الإغاثة الإسلامية، بل إنها أيضا وضعت كأول عشر نقاط. وتستخدم الإغاثة الإسلامية مدونة الصليب الأحمر والهلال الأحمر كأداة تقييم ونقطة مرجعية للعاملين عند اتخاذ القرارات. فضلا عن ذلك، أدمجت الإغاثة الإسلامية المدونة في شكل تطبيقي في إطار معايير تأكيد الجودة حيث تقيم المنظمة برامجها وأداء المسؤولين الميدانيين بها بناء عليها.

■ **لا غنى عن الاحترافية في العمل الإنساني، فكيف تشاركون خبراتكم مع الجهات الفاعلة الإنسانية الأخرى وتنسقون معها؟**

تعد الاحترافية تقنية يؤكد عليها المستشارون والعاملون. والاحترافية توجه يعتمد على الاعتقاد في القيم الأخلاقية التي يمكن أن تحكم البشر داخليا وخارجيا. إن الاحترافية مسؤولية والتزام إزاء المهمة التي نقول إننا ننهض بها. وتعمل الإغاثة الإسلامية على مدى السنوات القليلة الماضية في مشروع أطلق عليه "المنتدى الإنساني العالمي"، ويعد استجابة للمشكلات الهيكلية التي تواجهها منظمة الإغاثة الإسلامية في العالم الإسلامي من حيث القدرات الحكومية والتنظيمية، واستجابة أيضا للخروج من العزلة المتزايدة واستهداف القطاع من كل من الحكومات الأجنبية المضيفة والمؤسسات المالية والمؤسسات الأخرى. ومن مصلحة الجميع ضمان أن يقوم القطاع بدوره على نحو جيد، وأن يندرج تحت التيار الرئيسي لشبكة عمل الإغاثة الإنسانية. والبديل عن ذلك هو الاقتصاد الأسود حيث لا توجد سيطرة كافية على الأمور، أو مسؤولية ومحاسبة أو شفافية.

لذا فالهدف من هذا المنتدى هو ما يلي:

(1) بناء قطاع منظمات غير حكومية إسلامية تعمل في إطار معايير الكفاءة والمحاسبة والشفافية التي تتطلبها أغلب المجتمعات والحكومات والمؤسسات الدولية المضيفة والمانحون.

(2) بناء جسور وشراكات (تفاهم، وقبول، وعلاقات عملية) بين الحركات الإنسانية في العالم الإسلامي والغربي/ المؤسسات الدولية.

(3) ضمان أن المعونة الإنسانية والموارد المتاحة في العالم الإسلامي يمكن توجيهها إلى المحتاجين إليها مع مراعاة القواعد الحكومية والدولية في الوقت نفسه.

ويعد المنتدى الإنساني العالمي في الأساس مبادرة تهدف إلى إدراج المنظمات غير الحكومية العاملة في البلدان الإسلامية في المجتمع الدولي من خلال بناء القدرات وعقد الشراكات وتعزيز بيئة جيدة التنظيم للمنظمات غير الحكومية الدينية منها وغير الدينية. تبع ذلك عقد سلسلة من الاجتماعات فيما بين طائفة عريضة من المنظمات غير الحكومية الدولية والإسلامية، بالإضافة إلى قادة حكوميين وغير حكوميين من جميع أنحاء العالم، وذلك في إطار مؤتمر نظمته الإغاثة الإسلامية من 29 إلى 30 يونيو/حزيران 2005 في لندن. وخلال الفترة من أكتوبر/تشرين الأول 2005 إلى مارس/ آذار 2006، عقدت مشاورات موسعة بين الإغاثة الإسلامية والمنظمات غير الحكومية الوطنية الرائدة في كل من سوريا واليمن وتركيا وإيران وإندونيسيا وبنغلاديش وماليزيا ومصر وباكستان ولبنان والسودان والأردن والكويت وجنوب أفريقيا.

■ **على أي أساس توجه المساعدات للضحايا والمجموعات المستهدفة؟ وما هو رأيكم في ضرورة حياد المساعدات وعدم تحيزها؟ هل ترى ضرورة لهذا الحياد؟**

نحن نقدم المساعدات على أساس الحاجة بغض النظر عن العرق أو الدين أو الثقافة أو أي خلفية عقائدية من أي نوع. وينبغي أن تكون حيادية المساعدات وعدم تحيزها بالمعنى الإيجابي وليس السلبي. إذ يتوجب علينا مساعدة حتى من نعتقد أنهم أعداء للإنسانية عندما يحتاجون إلى عون منا. والمساعدة التي نقدمها للمحتاجين يجب ألا يكون لها حدود، بل يجب أن تمتد لتشمل جميع من يحتاجون إليها. إن الحيادية بمعناها الإيجابي ضرورة للإنسانية، فهي التي ستمكننا من العمل بشكل أكثر فعالية وستساعدنا على خلق حضارة متميزة.

نعم الحياد حتما ضروري ●

الإغاثة الإسلامية

● نشأت الإغاثة الإسلامية كمؤسسة إنسانية غير حكومية في بريطانيا عام 1984، وذلك في استجابة للمجاعة التي اجتاحت إثيوبيا والسودان وشرق أفريقيا آنذاك.

● ثم تطور عملها وتواصل لتقديم المساعدات الإنسانية المختلفة للشعوب الفقيرة وللبلدان التي تتعرض للكوارث بدون تمييز عرقي أو ديني أو لغوي.

● وتتمتع الإغاثة الإسلامية حاليا بعضوية استشارية بالمجلس الاجتماعي الاقتصادي للأمم المتحدة، وعضوية شبكة المنظمات غير الحكومية العاملة في الخارج، وعضوية الشبكة العربية للمنظمات الأهلية والوكالة الإنسانية الأوروبية، إضافة إلى شراكتها للبرنامج العالمي للغذاء والمفوضية العليا للاجئين.

● وتعد الإغاثة الإسلامية إحدى المنظمات الموقعة على مبادئ السلوك المهني للحركة الدولية للصليب الأحمر والمنظمات غير الحكومية بشأن إغاثة الكوارث ●

AFP

جمع من الأطفال الفلسطينيين يقفون صفًا حاملين أوعية بلاستيكية لتلقي إعانات غذائية تقدمها إحدى الجمعيات الإسلامية.

تعد مسألة تنسيق أعمال الإغاثة واحدًا من أهم التحديات التي تواجه هيئات العمل الإنساني، خصوصا في حالات الطوارئ وتفاقم الأزمات وحدة الكوارث. في هذا المقال يعرض مسؤول الإعلام بالهلال الأحمر الإماراتي كيف تعالج هذه الهيئة تنسيق جهودها عمليا في الميدان لكي ترتفع بمستوى عملها للوصول به إلى غاياته المطلوبة.

تنسيق عمليات الإغاثة دوليا مع المنظمات الوطنية غير الحكومية

عبد الرحمن الطنيجي*

يواجه العمل الإنساني والإغاثي الكثير من التحديات التي فرضت نفسها على واقع العمل والحركة بالنسبة للمنظمات العاملة في هذا المجال، ومنذ سبعينيات القرن الماضي تزايدت أعباء المنظمات الإنسانية والجمعيات الوطنية وأثقلت كاهلها المتغيرات الجديدة التي كان من أهمها أن الدول بشكلها القديم لم تعد توفر الخدمات الضرورية التي تعود عليها الناس خاصة في أوقات الكوارث والأزمات، وأصبحت في الكثير من الأحيان تضطلع بمهام تنسيق عمل المنظمات الإنسانية والجمعيات الطوعية داخل الميدان.

ومما أثقل كاهل المنظمات الإنسانية أيضا تفاقم الأزمات وحدة الكوارث واتساع رقعة الجوع والفقر والنزوح والتشرد وتزايد المخاطر المحدقة بالمستضعفين خاصة بعد بروز ما يسمى بالكوارث الصامتة المتمثلة في أمراض العصر الفتاكة مثل وباء نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) وغيره من الأمراض والأوبئة التي وجدت في الدول الفقيرة مرتعا خصبا لانتشارها حيث تشير آخر الإحصائيات إلى أن أفريقيا الجنوبية هي بؤرة وباء الإيدز وفيروسه حيث يحمل أكثر من 25 ٪ من السكان البالغين فيروس نقص المناعة البشرية المكتسبة، وفي الوقت الراهن يعيش أكثر من عشرة ملايين شخص بصحبة هذا الفيروس في المنطقة، وفقد ما يربو على أربعة ملايين طفل في أفريقيا الجنوبية أحد الوالدين أو كليهما بسبب الإيدز ، ويقدر أن هذا العدد سوف يتضاعف بحلول عام 2010.

واقع جديد وتحديات كبيرة

هذه المعطيات أفرزت واقعا جديدا على عمل المنظمات الإنسانية التي وجدت نفسها أمام تحديات كبيرة لابد من مواجهتها لضمان استمرارية عملها وتعزيز وجودها في مختلف الميادين والساحات للحد من تفاقم أوضاع الشرائح التي تستهدفها، ولكي تتمكن المنظمات الإغاثية من أداء رسالتها الإنسانية على الوجه الأفضل لابد من إقامة شراكات استراتيجية بينها وبين المنظمات غير الحكومية لتنسيق البرامج والعمل سويا لتنفيذ برامج طموحة تلبي حاجة المتأثرين في الإقليم المعني وتعمل على تحسين ظروفهم الإنسانية.

وتبقى عمليات التنسيق وتعزيز الشراكة مع المنظمات غير الحكومية عاملا رئيسا في نجاح البرامج الإغاثية الموجهة للمنكوبين والمستضعفين في الساحات التي تعاني شدة الاستضعاف والمناطق الملتهبة، خاصة أن معظم الكوارث والأزمات يشتد أوارها في الدول الفقيرة التي تعاني شح الإمكانات وندرة الموارد مما ينعكس سلبا على أداء المنظمات غير الحكومية في تلك الدول والتي هي أيضا تواجه صعوبة كبيرة في القيام بمهامها والتزاماتها الإنسانية بسبب نقص مقومات العمل والحركة، وبما أن الموارد المالية هي عصب النشاط والحركة في العمل الإنساني وبدونها تبقى الأيدي مكتوفة حيال متطلبات العمل المتزايدة وتظل البرامج قاصرة في تلبية الاحتياجات وتوفير المستلزمات، لابد أن يمر التنسيق مع هذه المنظمات عبر بوابة دعم قدراتها وتعزيز دورها داخل الميدان باعتبارها الجهة الوطنية الأقرب لموقع الحدث أو الكارثة والمناط بها الاستجابة الفورية وعمليات الرصد والتقييم وتوجيه النداءات الإنسانية للمجتمع الدولي ومنظماته الإنسانية.

الاستجابة الفورية أحد عوامل نجاح التنسيق

إن الاستجابة الفورية للنداءات التي تصدرها المنظمات غير الحكومية من عوامل نجاح التنسيق الميداني في مسرح الأحداث خاصة أن تلك المنظمات تواجه أيضا تحديات كبيرة في محيطها الوطني لأسباب اقتصادية وسياسية مما يعيق حركتها ويضعف برامجها، لذلك تأتي أهمية تضافر الجهود وتوحيد البرامج وتنسيق العمل معها للحد من الاستضعاف في الإقليم المعني من خلال فتح قنوات للتعاون والاتصال وتبادل المعلومات والخبرات، ومن الأجدى أيضا توقيع اتفاقيات شراكة ثنائية مرنة مع تلك المنظمات تحدد الأطر وآفاق التعاون وتراعي الشفافية والوضوح ووضع الآليات التي تسهل عملية تفعيل نصوص هذه الاتفاقيات أوقات الكوارث والأزمات. ويمكن للمنظمات غير الحكومية أن تلعب دورا مهما في تحديد أولويات الدعم والمساندة التي يحتاجها المتضررون في المنطقة المنكوبة بحكم قربها وفهمها للاحتياجات التي تساعد في تعزيز قدرة السكان المحليين على مقاومة ظروف الاستضعاف.

شراكات ناجحة في الساحات الملتهبة

هيئة الهلال الأحمر الإماراتية أدركت منذ أمد بعيد أهمية تعزيز الشراكة مع المنظمات غير الحكومية في عدد من الأقاليم التي تشهد باستمرار كوارث طبيعية ونزاعات، وتعمل بالتنسيق والتعاون معها لتنفيذ برامج طموحة تلبي حاجة المستهدفين وتحقق تطلعات الهيئة في تحسين ظروف المستضعفين ودرء المخاطر المحدقة بهم، وكللت هذه الشراكات بالنجاح الكامل من خلال تطبيق بنودها على أرض الواقع الميداني في عدد من الساحات الملتهبة كالعراق وفلسطين وأفغانستان وعدد من الدول الآسيوية والأفريقية التي أنهكتها الملمات وأقعدتها المحن. وتسعى هيئتنا الوطنية لإقامة المزيد من الشراكات الفاعلة والهادفة مع المنظمات المشابهة لتقليل حدة الفقر والجوع والمرض والأزمات والكوارث التي تهدد حياة الملايين من الأبرياء والضعفاء.

ونؤكد من خلال هذه المساحة أن هيئتنا الوطنية لن تدخر جهدا في سبيل دعم التوجهات الرامية إلى تعزيز الشراكة مع المنظمات غير الحكومية والتنسيق معها في المجالات الإغاثية والإنسانية بصورة عامة، وسنعمل ما في وسعنا لتوثيق الصلات مع الشركاء من أجل مستقبل أفضل لحركتنا الدولية والنهوض بالعمل الإنساني لمواجهة التحديات وقهر الصعاب ●

(*) مسؤول الإعلام والعلاقات العامة بالهلال الأحمر الإماراتي.

الوكالات المانحة والمنظمات الخيرية الدينية**

AFP

راهبات هنديات من منظمة تبشيرية يقفن إلى جوار صورة للأم تيريزا وهن يصلين في احتفال بمناسبة مرور ثمانية أعوام على رحيلها.

كان من المحرّم، لعقود، الإشارة إلى الدور الذي تلعبه المنظمات الخيرية الدينية في التعاون الإنمائي، إلا أن الوعي يتنامى الآن بما يمكن أن تسهم به هذه المنظمات في تحقيق التنمية المستدامة بقدر ما يتزايد الوعي بما تمثله من خطر من حيث إمكانية إسهامها في تصعيد العنف وسوء استخدامها.

في عام 1949، خرج الرئيس الأمريكي هارولد ترومان بفكرة تبشيرية أضفى عليها طابعا علمانيا، فأعطى إشارة البدء لابتكار مفهوم "المساعدات الإنمائية" وفكرة قيام الحكومات الغربية بتقديم مثل هذه المساعدات إلى البلدان الأقل نموا. وفي ظل خلفية النزاع بين الشرق والغرب، رأى الرئيس الأمريكي أن نقل رأس المال والتكنولوجيا الغربية إلى البلدان الأقل نموا هو السبيل إلى تغييرها سياسيا واجتماعيا. كانت الإرساليات المسيحية تعمل بالفعل قبل فترة طويلة من هذا النداء على تحسين الزراعة والتعليم والصحة. كما كانت من أولى المؤسسات التي عملت كشريكة في الخمسينيات والستينيات للوكالات الحكومية المانحة التي خرجت آنذاك حديثا إلى الوجود. كذلك أنشئ جيل آخر من منظمات غير حكومية مسيحية من نوع جديد للعمل في مجال التنمية. وإلى يومنا هذا تُوجه نسبة لا بأس بها من المعونات الحكومية الإنمائية لدعم برامج الجمعيات المسيحية التبشيرية والمنظمات غير الحكومية المسيحية العاملة في مجال التنمية.

صعوبة إيجاد الحد الفاصل

ويتأثر تعاون الحكومات الغربية في مجال التنمية بشدة بالأطر الدستورية التي تفصل السلطة السياسية عن السلطة الدينية. ويستثني هذا المبدأ التمويل المشترك من قبل الوكالات الحكومية المانحة للأنشطة الدينية والتبشيرية التي تقوم بها بعض المنظمات غير الحكومية. ومع ذلك فإننا نجد في الواقع أن المشاريع الإنمائية التي تنفذ في بعض المجتمعات قد ترتبط أحيانا بشكل وثيق ببعض الأنشطة الدينية مثل قراءة الإنجيل أو التبشير. وفي ظل هذه الظروف، يصعب تعريف الحد الذي يفصل هذه الأنشطة عن الهداية أو العمل الإرسالي.

وتجدر الإشارة إلى أن موضوع الدور الذي يلعبه الدين في التعاون الإنمائي، سواء كان ذلك بين المنظمات غير الحكومية والجهات الحكومية المانحة أو بين المنظمات غير الحكومية الغربية وشركائها المحليين، كان من المواضيع المحرمة للعديد من العقود. ثم استؤنف النقاش من جديد في أواخر التسعينيات، بطرح سؤالين أساسيين حول الكيفية التي ينبغي بها إدراج الدين والروحانيات في السياسات العامة على مستوى العالم، وكيفية استخدام إمكانيات الدين والروحانيات بشكل أفضل في التعاون الإنمائي؟

تمخض السؤال الأول عن الدعوة لخلق صلات جديدة للتحاور بين الأديان والعقائد مع الأمم المتحدة بل وداخلها. واستجابة للسؤال الثاني، دعا رئيس البنك الدولي جيمس ويلفنسون، وأسقف كانتربري جورج كاري آنذاك، القادة الدينيين للاجتماع لأول مرة، وكان ذلك في عام 1998. وتمخض ذلك عن إنشاء منبر يدعى "حوار أديان العالم حول التنمية" للتشاور فيما بين ممثلي العقائد الإيمانية حول القضايا المتعلقة بخفض معدلات الفقر. وفي 2001، أصدر المنبر مطبوعة تتناول الأساليب التي يمكن من خلالها أخذ الثقافة والدين في الاعتبار في العمليات الإنمائية.

وفي الوقت الحاضر، يمكن ملاحظة تنامي الوعي بأن العمل الإنمائي هو عمل متعدد الثقافات إلى حد كبير وأن عامل الدين ذو صلة بالأوضاع الثقافية المعنية. فحيثما كان للدين والروحانيات جذور عميقة في الحياة اليومية للناس أو المجتمعات، يمكن لهما أن يسهما بشكل قيم في التنمية المستدامة، ومع ذلك فإنه يمكن أيضا إساءة استخدام الدين بغرض تأجيج النزاعات.

ومؤخرا، اقترح المشاركون في مؤتمر دولي عقد بأوسلو من 7 إلى 8 أبريل/ نيسان 2005 جدول أعمال بحثيا واسعا حول المنظمات غير الحكومية الدينية يتضمن المحاور البحثية التالية: أصل العمليات التي تضطلع بها المنظمات غير الحكومية الدينية وتطورها وأثرها والدور الذي تلعبه وأنواع هذه العمليات، وعلاقة هذه المنظمات بالدولة إضافة إلى قضايا الحكم الرشيد حول العالم وحقوق الإنسان والصحة وحملات الدفاع عن مختلف القضايا، والسياقات الاجتماعية ـ السياسية المتغيرة، والتبشير والتنمية، والمحتوى السياسي للدين.

التفكير في المفاهيم الرئيسية

ذكرت فيما سبق أن "المساعدات الإنمائية" اختراع غربي، واليوم لم يزل التفكير الغربي يهيمن أيضا على الخطاب الدولي حول التنمية. وينبغي على ممثلي المنظمات غير الحكومية الدينية والجهات الحكومية المانحة الراغبة في التعاون معهم أن يكونوا على وعي بأن فهم شركائهم من الثقافات غير الأوروبية للعديد من المفاهيم الأساسية ذات الصلة قد يختلف تمام الاختلاف عن فهمهم هم لها.

أحد الأمثلة على ذلك هو مفهوم "الدين" إذ يتمركز هذا المفهوم حول أوروبا بحكم تطوره التاريخي. ولا يقابل مصطلح الدين، من حيث الدلالة اللفظية أو المعنى، بالضبط مصطلح آخر في معظم لغات الثقافات غير الأوروبية. وبالتالي، يجب ألا يطمح التعاون الإنمائي في الواقع العملي إلى ما هو أبعد من مجموعة مركبة من العلاقات التي يحددها الدين والثقافة والتي تزيد تعقيدا عما قد يبدو وأن يعنيه تاريخ اللغة واستخدامها في أوروبا الغربية. وأحرى بالغربيين في تعاونهم مع شركاء ومشاركين من خلفيات ثقافية مختلفة عدم افتراض إمكانية فصل العامل الديني عن السياق الأعم للحياة بشكل مسبق.

ويتوجب على الشركاء في التنمية أن يدركوا أيضا أن الفصل بين المؤسسات ذات السلطات السياسية والدينية، أي بين الدولة والكنائس المسيحية هو أمر خاص بتاريخ أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية. فلقد تطورت هذه العلاقة بين النظام العلماني والمعتقدات الدينية على مدى عقود النزاعات فيما بين الباباوات والأباطرة والملوك خلال عصور إعادة الملكية والتنوير، وشكلت إطارا للدساتير العلمانية والنظم الاجتماعية الغربية. كما أن التعاون الإنمائي الذي تدعمه الدولة داخليا مرتبط أيضا بهذا الإطار الدستوري.

ومع ذلك يتوجب التمييز بين "عمليات العلمنة" و"النظام العلماني"، فالنظام العلماني للدولة لا يفترض بالضرورة وجود مجتمع غير ديني أو يفترض منع التعاون بين الوكالات الحكومية المانحة والمنظمات الدينية الخيرية، ولكنه يحرر الدولة من تفضل الدين عليها وتحكمه فيها، كما أنه يحرر الدين والمجتمعات المتدينة أيضا من

آن ماري هولينشتاين*

تحكم الدولة فيهما.

وبالمثل تتنوع مفاهيم حقوق الإنسان وفقا لبيئتها الثقافية. فنجد أن بعض المجتمعات الدينية تستمد مجموعة مبادئها الخاصة بحقوق الإنسان مباشرة من دينها. ومع ذلك يدفع المدافعون عن عالمية حقوق الإنسان بعدم إمكانية إثبات حقوق الإنسان بالاستناد إلى أسس دينية فحسب، وأن حقوق الإنسان تستمد عالميتها بشكل مباشر من قيمة كل فرد وكرامته لا من الاستناد إلى الدين. وفي هذا الصدد، ثمة حاجة ماسة إلى النظر بشكل أكبر في مقدار الإجماع المطلوب على حقوق الإنسان، كشرط مسبق للتعاون، في الحوار ما بين الشركاء ولا سيما الكيفية التي يمكن بها الوصول إلى هذا الإجماع.

وسوف نكون مخطئين إذا استنتجنا من ذلك أنه على الشركاء من الجهات الحكومية والمنظمات الخيرية الدينية الوصول إلى اتفاق عام على هذه المبادئ الأساسية قبل الإقدام على أي شيء، فالعامل الحاسم في الواقع هو إذا ما كان بوسعهم أن يجدوا أساسا قيميا مشتركا أوليا يصلح بشكل كاف لتنفيذ برنامج بعينه. وتختبر مدى صلاحية هذا الأساس بالحد الذي يسمح به للشركاء لمعالجة المشكلات المتصلة بالتناقض المتأصل في العامل الديني من حيث تحمله لعدة أوجه في آن واحد.

التعامل مع التناقض المتأصل في العامل الديني "الحّمال لعدة أوجه"

يمكن للمجموعات الدينية والعقائدية أن تلعب دورا فعالا إما كملائكة سلام أو مروجي حروب. ويرجع هذا التناقض بشكل كبير إلى حقيقة أن علاقة أديان العالم بالعنف هي علاقة ملتبسة. فكل الكتب السماوية تتضمن أعرافا تشرع اللجوء إلى استخدام القوة في ظل ظروف محددة وتحصد الضحايا في القتال من أجل نصرة الدين وتشيطن معتنقي الديانات الأخرى. وفي الوقت نفسه، هناك على الرغم من ذلك مصادر تعلن عن عدم توافق الدين مع العنف، وتطالب بالتضحية من أجل السلام وتصر على احترام معتنقي الأديان الأخرى.

ويكمن مصدر من مصادر الخطر في طبيعة المعتقد أو الاعتناق الديني في حد ذاته، إذ يركز الدين على المطلق وغير المشروط، وبالتالي يسهل تحميله بسمات شمولية، وتجد الأديان التوحيدية بشكل خاص صعوبة في التمييز بين الخلفية الدينية والطبيعة التاريخية للوجود البشري. كما يمكن للدين أن يؤجج المواجهات، والرغبة في استخدام العنف بسبب القيمة التدرجية الرمزية التي تصاحب تطهير الدوافع والأهداف "الدنيوية". أضف لذلك أن من الممكن أيضا لهرمية السلطة داخل المنظمات الخيرية الدينية أن تستخدم الحماسة الدينية لإضفاء شرعية على سوء استخدام السلطة وانتهاكات حقوق الإنسان. وحيث إن هذه الهرمية خاضعة لأغلبية ذكورية، نجد أن هناك حاجة إلى إخضاع قضايا النوع الاجتماعي وحقوق المرأة إلى الملاحظة الدقيقة المستمرة.

إن هذه المفارقات وأشكال التناقض المتأصلة في الدين قائمة بالفعل في بيئة عمل العديد من البرامج الإنمائية. ومع ذلك، فإن التهرب من مواجهتها لتجنب النزاعات يعني التهرب من إحدى حقائق الحياة، فذلك فهم سطحي لمعنى تجنب النزاعات. فلا مجال هنا لوجود إما مخاطر أو إمكانيات فحسب.

لذا فمن الضروري التأكيد بأنه على برامج الوكالات الحكومية المانحة والمنظمات الخيرية الدينية أن تدافع عن حق الناس في وضع أولوياتهم الخاصة. وبالتالي أود أن أنهي هذا القسم باقتباس من كتاب أمارتيا سن المعنون "التنمية كحرية" يقول فيه: "إذا كان لا بد من التضحية بطريقة العيش التقليدية للنجاة من الفقر المدقع وقصر الأعمار (كما هو حال العديد من المجتمعات التقليدية لآلاف من الأعوام)، يتوجب عندئذ أن يمنح الأشخاص المنخرطون بشكل مباشر في الأمر الفرصة للمشاركة في تقرير ما يتوجب اختياره" ●

(*) استشارية في مجال التطوير التنظيمي، ومفوضة من قبل المنظمات غير الحكومية السويسرية والوكالة السويسرية للتنمية والتعاون.

(**) معد عن مقال منشور بنفس العنوان في المجلة الدولية للصليب الأحمر.

زمن النزوح !

AFP

مع النزوح، للأطفال موعد
مع الشقاء والمجهول.
[العراق]

إنه زمن النزوح
زمن تضيق فيه الأرض، وتغمض الأقدار؛
زمن تنطلق فيه الشرور من عقالها،
فلا ترحم امرأة ولا طفلا ولا شيخا مسنا؛
زمن المصائب والكوارث التي تحل بغتة!
زمن النزاعات التي لا تبقي ولا تذر!!
زمن الطبيعة التي تتنمر على غرة وتقف بالمرصاد!
فيجد الناس أن لهم موعدا مع التشرد!
...
هنا وهناك.. في ثلاثة أرباع الكوكب،
بشر ألفوا أنفسهم فجأة في العراء،
يبكون أهلا قضوا،
ومنازل دمرت،
ومصادر رزق امتنعت عليهم،
ومآوي انتزعوا منها،
ومصائر تنهشها العرضية ويفترسها الضياع!
...
هي الحرب!
حرب الإنسان لأخيه الإنسان؛
وحرب الطبيعة ضد الآدميين!
في هذه الحروب ينهزم الضعفاء، وتضيق المسافة بين الواقع والمأساة.
وفي هذه المسافة،
يحاول "الإنساني" أن يمد يدا ترفع عن كاهل المنكوبين بعض ما ألم بهم؛
لكنها تظل يدا قصيرة لا تقوى على فعل الكثير؛
فليس بوسعها محو ذاكرة الألم؛
ولا إعادة عقارب الساعة إلى الوراء،
إلى ما قبل كارثة النزوح!

ICRC / PAGE, Charles J.

في مخيمات التشرد، ليس للهو الذي تعرفه براءة الطفولة نفس الحضور، إنه حضور منفرد ووحيد.
[مخيم في أنجوشيا، الشيشان]

AFP

وطفلة لم تبلغ الحلم تحمل ما تبقى لها من متاع: أخاها الصغير. لتمضي بلا وجهة.
[السودان، أحد مخيمات النازحين]

وفي تغريبة الشقاء، يتعاضد الأطفال ضحايا العنف مع بعضهم البعض.
[مخيم للنازحين بأورابا بكولومبيا]

ICRC / TORRES, William

...

ICRC / IDRIS, Arista

مع المرحلين، تحملنا سفائن التسفير
إلى المجهول.
[ميناء سامبيت، بورنيو، إندونيسيا]

ICRC / MAYER, Till

وفي العراء، تقيم أودنا وأود أطفالنا
مساعدات عابرة.
[إثيوبيا]

ومع الكوارث، نقطع المسافات
والمسافات للحصول على بعض الماء.
[الصومال]

ICRC / YAZDI, Pedram

ICRC / HORVATH, Sándor

وفي رحلة العذاب تشرد لا ينتهي. وانتقال مستمر بمتاعنا من مخيم إلى مخيم.
[إريتريا]

ومساعدات نتلقاها في دلاء ترمز
بذاتها للمأساة.
[أذربيجان]

ICRC / HEGER, Boris

ICRC / HEGER, Boris

وبؤس تجتمع حوله العائلة كضيف ثقيل.
[كوسوفو]

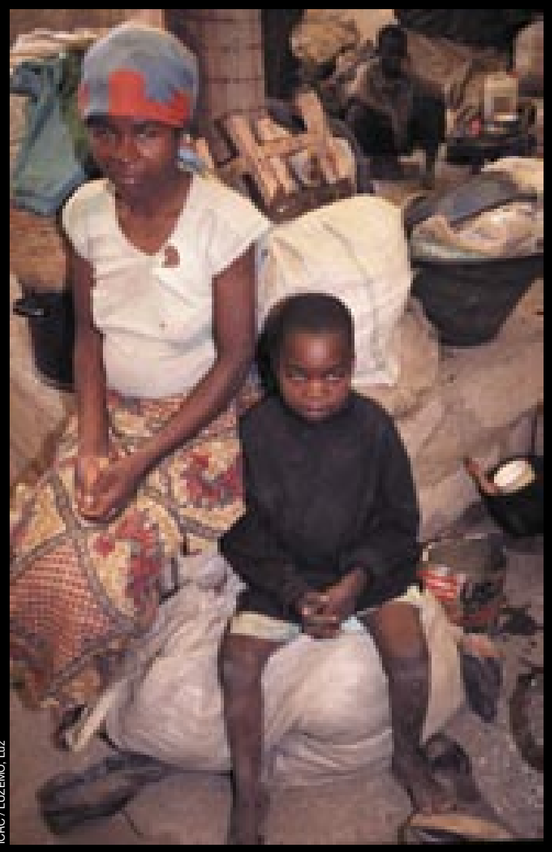
ICRC / LUZEMO, Luz

أنتم تحملقون فينا بغية التصوير، ونحن ندقق النظر فيكم بحثا عن إجابة.
[أنغولا]

قصائد عراقية

زيارة صباحية

عصفورٌ أبيض يأتي من بغدادْ
يفتح نافذتي كلَّ صباحٍ للشمسْ
يوقظني في همسْ:
أُسعدت صباحًا

يوقظني وأنا في حزنٍ يأكلني
يوقظني وأنا في أملٍ يشربني
ويعودُ.. يعودُ إلى بغدادْ
مبتهجًا.. مختصرًا كلَّ الأبعادْ

وأنا والحزن صديقان عدوانْ
وأنا والأمل المغدور ذبيحانْ

حزني أكبر من أن يعرفه
عصفور لا يعرف معنى الحزن
أشسع من أن يعرفه
جذري يحكمه الموت ولا يدري أين يموتْ

حزني أوحش من تابوتْ
حزني أكبر من روحي
يا بؤس الروح

وأنا في كل صباحٍ أستيقظ من حلم أو كابوسْ
كل صباح آمل أنْ ترأف بي أحلامُ وكوابيس الليلة
ويجيء الليل
طاووسًا يتبرقع في وجه غرابْ
فلماذا.. ولماذا.. ولماذا؟

يا سيدي العراق

سدًى.. سدًى.. سدًى
سدًى
سدًى يضيع الوقت خارج الوطنْ
سدًى تذوب في الدم الأيامْ
سدًى.. سدًى
يكتئب المكانْ
ويهرم الزمنْ

دونك يا عراقْ
أبصر نفسي في دمي المراقْ
ساقيةً تبحث عن مياهْ
وميتًا يبحث عن كفنْ

سدًى..
سدًى..
سدًى..
سدًى..
سدًى يموت الوقتُ خارج الوطنْ
سدًى.. سدًى أيامنا تهانْ
يا سيدي العراقْ
يا سيد الزمان والمكانْ
سدًى.. سدًى يا سيدي
سدًى..
سدًى..
سدًى.. سدًى نضيعْ
يا سيد الجميعْ

خالد الحلي*

عمل فني مطبوع بالليثوغراف والحفر على الجلد: الفنان **مظهر أحمد****، 78 × 108 سم. 1996.

يوم جديد

في كل يومٍ تغرس الأسئلة
أنيابها فيَّ دمي
كيفَ تُرى..
يا بشرًا لا يرى
أن تغفلوا ما جرى
كيف تُرى سادتي
أن تقبلوا عماكم
وأن تكوّموا الرماد في سماكم
كيف تُرى..
كيف تُرى..
كيف تُرى..؟

(*) شاعر عراقي مقيم في ملبورن، استراليا. (**) فنان عراقي يعيش ويعمل في السويد.

من ذاكرة الحروب

حياة ساكنة

يبدأ تجواله اليومي في الدار، غرفة إثر أخرى: النوم والصالة وإلى غرفة الاستقبال والطعام والمطبخ، ثم مرتقيا ببطء درجات السلم إلى غرف الطبقة الثانية شبه المهجورة بعد أن هاجر ابنه إلى الخارج بحثا عن فرصة أفضل في الحياة وتزوجت الابنة قبل عامين بعد وفاة والدتها بأشهر معدودات، ليبقى وحيدا في انتظار الآتي.

يفتح نوافذ الغرفتين من أجل تهويتهما متأملا قطع الأثاث وحاجيات أخرى تحمل ذكريات من رحلا. ملابس لم يعودا في حاجة إليها، ومجموعة كبيرة من أشيائهما الخاصة تكدست عبر الأعوام ولم يرغب أي منهما في التخلي عنها بالرغم من الحاجة آنذاك: دمى ولعب ومجلات وكتب تمثل مراحل نموهما. "نرجو أن تبقى في أماكنها، إنها جزء منا وسنعود يوما لإلقاء نظرة عليها، خاصة أنك لست في حاجة إلى هذه الغرف".

وحده الآن من يلقي نظرة عليها متذكرا تلك الأيام الخوالي والمناسبات العديدة التي تم فيها شراؤها، كتلك الدمية الحلوة الشقراء التي عندما يتم تحريكها إلى الأمام تفتح شفتيها وتقول "ماما" ثم تبدأ بالدوران حول نفسها على أنغام الموسيقى، ويدور الرجل الدمية من جديد حول نفسه، يتذكر الطفلة التي كانت ترقص معها، وعيناه تتابعان ما حوله: قطار يدور على سكة حديد طويلة أمضى ذات يوم ساعة كاملة في تركيبها. قطع الميكانو والمكعبات الخشبية ولعبة المونو بولي، (كم من مرة جعل من يلعب منهما معه يسجل النقاط ضده ويحصل فرحا ومزهوا على أراض ومحطات وقود وشوارع وميادين هامة في لندن أو في بغداد بعد أن عربت اللعبة).

يستعيد الرجل أيضا صخب ساعات اللهو وساعات الشجار وصخب الموسيقى والأغنيات التي كانا يستمعان إليها وهو يقلب صفحات الدفاتر المدرسية القديمة وكتب المطالعة والتاريخ والإنكليزية وغيرها من المواضيع، وعندما ينتهي من ذلك أو بالأحرى يكتفي منها يقوم من مكانه ليغلق نوافذ الغرفة ساهما، لكن صوت انفجار قوي يعيده إلى الواقع، تهتز يداه مع اهتزازات النوافذ، يتوقف لحظات ثم يواصل عمله، كمن اعتاد هذه الأصوات، موصدا بإحكام النوافذ، متأكدا قبل نزوله من غلق الأبواب ومنها الباب المؤدي إلى سطح الدار وهو يدمدم مع نفسه: أصباح آخر يبدأ النهار فيه بانفجار وينتهي به أيضا؟!

في غرفة المعيشة يجلس بعد دقائق يفكر فيما سيفعل طوال الساعات القادمة، سيأتي راضي بعد قليل، وهو الصبي الذي يساعده في شؤون الدار ويشتري له حاجياته اليومية من السوق من خبز وخضروات وأمور أخرى لإدامة المعيشة إضافة إلى صحيفتين يوميتين، ليغادره بعد ساعتين تقريبا تاركا إياه غاطسا في الوحدة والكآبة والقلق.

ماذا عليّ أن أفعل اليوم؟، يدرك الرجل وهو يسائل نفسه، أنه على الرغم من تقدمه في السن وهزاله، يحارب بقوة، وقدر طاقته، مظاهر الخمول والكسل، يعمل في الحديقة وفي المطبخ، منظفا جدرانه أحيانا بفرشاة طويلة وكذلك الحمام، وكم من مرة تزحلق وسقط على الأرض وظل أيامًا يشكو أوجاع الظهر والساقين وكم من مرة..

تتوقف سلسلة أفكاره عندما يسمع الطرقات الثلاث على الباب، إنه موعد الصبي وتلك هي دقاته المتفق عليها. ثلاث متتالية. يقوم من مكانه ويفتح الباب: "صباح الخير.. وعبارات أخرى تقليدية حول الصحة والأحوال والانفجارات التي حدثت وما يتعلق بها من أخبار.." ثم يبدآن العمل. ينظف الصبي الغرف وهو يتابعه في أماكن منها: "لقد نسيت هذه الزاوية وتلك.. لا تنس خلف الأبواب.. لا تفعل كذا.. نظف جيدا..، ويدرك الرجل أحيانا أنه يغدو في بعض الأوقات لحوحا لجوجا فيتراجع إلى المطبخ كما يفعل اليوم مدمدما لنفسه إنه التقدم في السن وأيضا الفراغ الذي يعانيه، ثم يقوم بغسل الفواكه والخضروات التي جلبت ويضعها في الثلاجة، ويتناول الصحيفتين عائدا إلى مكانه المعهود ليبدأ في قراءتهما، غير أن أصوات إطلاقات نارية قريبة تدفعه إلى القيام والطلب من الصبي الانصراف في الحال قبل أن تغلق الشوارع المجاورة ويتعذر عليه العودة إلى المنزل: "مع السلامة، كن حذرا في الطريق".

يعود إلى كرسيه، يقرأ الصحف، الأخبار والتعليقات، وما بينهما، منتهيا إلى صفحات الرياضة والفنون. بعد ساعتين تقريبا. ينتهي منهما، يضعهما جانبا، يتطلع إلى الحديقة عبر النافذة المجاورة له، زهرة قرنفل وردية تتفتح ونحلة تدور حولها، لا تستقر في مكان، تحط وتطير وتدور ثم تحط، إنها في حركة دائمة اليوم وستهمد ذات اليوم، وتنتقل عيناه إلى زهور أخرى وإلى الأشجار المزروعة في صف واحد على مسافة أقدام من السياج الخارجي للبيت. يدرك أنه لكثرة ما تأملها وتتبع مراحل نموها يكاد يعرف أعداد أوراقها..

كان وقته في السابق وكما يقال من ذهب وغدا اليوم من صفيح صديءٍ يذوب هباء منثورا مؤجلا باستمرار مشاريع عديدة.

يمسح ضجرا ومتبرما خطوط العرق المنسابة من شعره ووجهه والمنحدرة إلى عنقه، التيار الكهربائي مقطوع منذ خمس ساعات، الحياة ساكنة في الدار، عنيفة وقاسية خارجها، لم يعد المرء حرا في اختيار طريقه بعد أن فقدت الأشياء معانيها ولم تعد الحياة تحمل عنفوانها ونشاطها بل إن الموت نفسه لم يعد طبيعيا، بعد أن غدا مرتبطا بالصدفة وظروف تواجد المرء في مكان معين وفي زمان معين، إضافة إلى خراب النفوس والأمكنة عبر عقود من الزمن.

يتطلع في ساعته، الوقت يقارب الواحدة بعد الظهر، يرفع بصره إلى المروحة الكهربية المعلقة في السقف، بعد دقائق تبدأ أذرعها بالدوران ببطء ثم أسرع، وينبعث أزيز متنوع من الأجهزة الكهربية التي ستعود بدورها إلى استئناف عملها. إنه غارق في عرقه، تلتصق ملابسه على جسده، يحس بالتراخي يدفع نفسه إلى النهوض، يضغط على زر التليفزيون، تتحول الشاشة السوداء إلى مستطيل مضاء، ينتقل من محطة إلى أخرى، لا يجد في نفسه رغبة لمتابعة فيلم أو برنامج ما، فهو يبحث عن الأخبار هنا وهناك قبل أن تنقطع الكهرباء. وتنقل إليه الأخبار: قتل، استشهاد، اغتيالات، انفجارات، دماء، قطع من لحوم متناثرة، أجساد متفحمة وجثث هنا وهناك.

ينتابه الحزن، ثم يتحول ذلك الإحساس إلى توتر يتواصل تصاعديا مع دقات صوت المعول في منزل جاره والذي يرن من بعد عودته من العمل وحتى المغيب، إنه، كما قال، يبني غرفة إضافية في الطبقة الثانية من داره.

يتضاعف توتره مع بدء تحليق دوريات طائرات الأباتشي وطلعاتها المتواصلة التي تكاد تشكل خلفية مناسبة للمشاهد التي يقدمها التليفزيون: عدد من الدور المتهدمة في غزة، وجرافات ضخمة تزيل ما تبقى من جدرانها، وأطفال يبحثون بين الركام عن أشياء عزيزة تخصهم لا يريدون التخلي عنها، دمية شقراء أو قطار بلا سكة يسير عليها أو كتب ودفاتر مدرسية. يغلق التليفزيون ويتوجه نحو المطبخ، يعد لنفسه قدحا من القهوة، يضيف الماء المغلي إلى حبيبات القهوة ويحركها بالملعقة، منتبها بعد قليل إلى حركة الملعقة المتسارعة وصوت احتكاكها بأطراف القدح، يزعجه الصوت، لماذا لا تهدأ الأصوات من حوله مرة واحدة، ينظر عبر النافذة إلى السماء، يشاهد طائرتين مروحيتين على ارتفاع منخفض جدا ترافقهما ضجة هائلة، تكاد الواحدة منهما تتوقف فوق سطح الدار أو تلامس أعالي أشجار النخيل، ملقية ظلالا سوداء قاتمة على الجدران من حوله. مازالت الضجة قائمة. يعود إلى التليفزيون. فلا شيء آخر غيره، متتبعا من جديد المحطات. هذا الفراغ الهائل الذي يعيشه يقتات منه ويأكل من جرف ما تبقى من أعوامه. لقد ضاقت حركته تدريجيا لتتحد بين جدران أربعة، حياة ساكنة راكدة المياه، حتمت الظروف بكل تفصيلاتها وتنويعاتها الرضوخ لها، فحالة الركود التام في الداخل هي أفضل من حالة العنف التي تسود الخارج. أجل، لم يعد للحياة من معنى، لقد أمضى أكثر من ثلث عمره راكضا خائفا منزويا يهيمن عليه الفزع، تطارده الحروب بويلاتها وكوابيسها ومجاعاتها، يفز منها مذعورا، يحاول الفرار، لكنها تظل تطارده. حرب وحرب وحصار وحرب واحتلال.

يتذكر أنه منذ شهرين لم يغادر داره.. ففي المرة الأخيرة التي خرج فيها من البيت في ساعة مبكرة من الصباح قاصدا أحد المجمعات التسويقية، وجد الزحام أشد مما كان يتوقع، ومئات من سيارات مختلفة الأنواع وحافلات ومدرعات ودبابات أيضا تحمل الغرباء من جنود يصوبون أسلحتهم على المارة. قاد يومئذ سيارته مسافة قصيرة قبل أن يدرك أن الاستمرار في الطريق محال، انحرف إلى شارع فرعي ضيق وحسنا فعل، إذ سرعان ما طرقت سمعه أصوات انفجارات متتالية، عاد إلى البيت بعد ساعات بدت له دهرا، أمضاها في التنقل بين شوارع مسدودة النهايات ثم العودة إلى غيرها، وعندما تهالك على السرير متعبا قرر عدم مغادرة الدار مستقبلا إلا للضرورة القصوى، الشارع لم يعد أليفا.

الطائرات لا تزال تحلق في منطقته، الهواء يزمجر تحت مراوحها، يرافقها صوت هادر يعلو وينخفض مع حركتها.

بئس الحياة التي أعيشها، يقولها لنفسه بصوت مسموع، لقد رفض مرارا استجابة دعوة ابنه للسفر بحجة أنه سيختنق إن غادر الدار والمدينة إلى مكان آخر، رفض ذلك وهو يعلم أنه يقولها مكابرا، ممتنعا أن يصبح عالة عليه أو سببا في مضايقته. لقد اختنق مرات عديدة بعد غيابهما عن الدار حزنا، يأسا أو خوفا، ثم تمالك نفسه بعد كل مرة متشبثا بخيوط واهية، قد يكون من بينها الأمل في حياة أفضل!.

إنه بالذات يكاد يختنق في هذا اليوم الذي يمضي بطيئا ثقيلا، فالأيام غدت في تعاقبها متشابهة ومملة وما الذي يمكن أن يفعل رجل وحيد في مثل عمره في الدار غير أن يقرأ ساعة أو ساعتين ويتفرج على التليفزيون في خلال الأوقات التي يسمح بها التيار الكهربائي أو ينام بضع ساعات قلقة!

لا فرق بين يوم وآخر، وهي (أي الأيام) وساعاتها لم تعد تحمل له من معنى غير أن العمر ينقضي سدى. ينظر إلى ساعته، يتذكر أنه لم يتناول طعامه، يتوجه نحو المطبخ، يفكر فيما سيأكل، شرائح من الجبن مع الخبز والشاي أم قطعة مسلوقة من اللحم! أي طعام يكفي.. مجرد ملء فراغ المعدة. يجلس إلى المائدة الصغيرة، ●●●

ابتسام عبد الله*

الرسم: **عمّار داوود****

(*) أديبة عراقية
(**) فنان عراقي يعيش ويعمل في السويد

وبعد قليل، يحتسي الشاي ويأكل الجبن والخبز. ضجيج طائرات هذا اليوم يختلف عن غيره. لا ينقضي أو يتلاشى، يصم الآذان، يهشم الهدوء، يخرج إلى الحديقة قبل أن ينهي طعامه، يرفع بصره إلى أعلى، يرى بوضوح وجه الطيار ومساعده، يغطيان وجهيهما بنظارتين عريضتين، يقترب من السياج الخارجي للدار، يجد الشارع خاليا حتى من أطفال اعتادوا اللعب تحت شجرة توت ضخمة كثيفة الأغصان والأوراق. يسمع صوت عجلات تحتك بالأرض، يخفي نفسه خلف شجرة في الحديقة، تمر ثلاث دبابات وأربع مدرعات ثم ثلاث سيارات طويلة مفتوحة يجلس في كل منها عشرة جنود من الغرباء في صفين متقابلين. ما الذي يحدث اليوم ويجعله مختلفا عن أيام أخرى! يتسلل الخوف إلى قلبه. قال له جاره مساء أمس أنهم بدأوا بتمشيط المنطقة بحثا عن عناصر تهاجمهم أو أناس يقعون ضمن دائرة شبهاتهم. يختفي الرتل بعد دقائق إثر انعطافه في شارع مجاور. تتحرك قدماه المسمرتان، ـ ما الذي جاء بهم إلى هنا ليقتلوا ويُقتلوا؟

يحس بألم في ركبتيه وفي كعبيه، وقد يعود ذلك إلى أنه لم يعد يتحرك كثيرا في الآونة الأخيرة، يتوجه بخطوات بطيئة نحو منزل جاره، يدق الباب، يريد أن يستفسر منه عما يدور في الخارج بحكم عمله اليومي في المحل الذي يمتلكه لتنظيف وكي الملابس والواقع في نهاية الشارع.

يقول له الجار:

ـ إنهم يفتشون الدور ويلقون القبض على من يشتبهون به ثم يضيف:

كن على حذر.. إنهم لا يأبهون لشيء!

يجيبه الرجل بصوت حاول أن يكون طبيعيا لا يحمل نبرات استنكار أو غضب:

ـ أكون على حذر من ماذا! ما الذي فعلته، بالكاد أغادر الدار أحيانا.

يرد عليه الجار:

ـ لا أدري من ماذا، اعتدنا وعلينا اليوم أن نكون على حذر باستمرار، هذا ما تعلمناه من الأيام.

يعود الرجل إلى داره بخطوات أسرع من ذي قبل. يغلق الباب خلفه، يتأمل ما حوله، ماذا عليه أن يفعل ومن ماذا يحذر. إنه لم يفعل ما يستدعي الخوف. ويعود إلى حديث جاره يستعيده كلمة بعد أخرى، هل كتب عليه أن يبقى وعلى الدوام خائفا من شيء ما، من أمر ما قد يحدث أو لا يحدث؟ تزداد نبضات قلبه وتتسارع.

إنه الخوف وهو يعرف هذا الإحساس فقد استوطن لديه ولدى غيره منذ أعوام وجعله يتجنب كل ما يثيره أو يستزيد منه.

ويمضي العصر ثقيلا. يحس بالجوع ويتذكر أنه لم ينه طعامه ظهرا. يتناول كسرة من الخبز والجبن ويصب لنفسه قدحا من الشاي ويمضغ لقمته على مهل دون شهية، خامد المشاعر، وعندما ينتهي منها يتناول صحنا مستديرا يضع فيه بعض فواكه الموسم، تفاح ومشمش وموز ويعود إلى الصالة ليضعه على المنضدة.

مع حلول الظلام تشتد الجلبة في الخارج، يشعل ثلاث شمعات في حامل خشبي يضعه على المنضدة أيضا ويجلس على كرسيه الهزاز الذي يفضله ليلا، مبتعدا عن النافذة، محاولا أن يواصل قراءة رواية كان بدأ قراءتها قبل يومين.

يمضي الهزيع الأول من الليل وهو لا يزال في مكانه لكن الكتاب ملقى إلى جانبه بعد أن قرأ منه فصلين بصعوبة بسبب قلة الإضاءة. يقوم من مكانه بين حين وآخر ليغير الشمعات الثلاث المتلاشية بأخرى ويعود إلى كرسيه يتأمل وهو يتأرجح فيه، صحن الفواكه والظلال على الجدران وعلى شاشة التليفزيون المعتمة وعلى إناء للزهور في الزاوية. إنه لمشهد جميل وأخاذ، بدا له فجأة نموذجا آخر من حالات الحياة الساكنة، شموع، أزهار، وفواكه، مشهد يستعيد عبره زمنا من شبابه عندما كان يهوى الرسم ويمارسه ويشارك في المعارض السنوية وينال الإعجاب بل إنه التقى فيها، شخصيا، ببعض من كبار الرسامين الذين يكن لهم إعجابا كبيرا. يسأل نفسه: لماذا ترك تلك الهواية؟! لماذا لا يعود إليها ويقضي على جزء من فراغ حياته. ما عليه إلا شراء الأدوات اللازمة لذلك ويبدأ العمل غدا. تجذبه الظلال إلى تأملها بشغف، إنها تتذبذب متلاشية، لابد أن هذه الشموع من نوع سيئ وهي تذوب بسرعة، تخفت شعلتها وينتهي أجلها.

يحتسي الرجل فنجان القهوة الرابع أو الخامس. لم يعد يتذكر كم شرب منها، يحس بالجوع، أو ربما إنه الإحساس بالقلق، يتناول تفاحة ويقضمها، يريد أن يطرد النعاس عن عينيه، عليه أن يبقى على حذر. يسمع بعد منتصف الليل بقليل أصوات ضربات قوية متتالية، قد تكون لانفجارات قنابل أو صواريخ أو ربما مدافع، فكافة هذه الأسلحة أصبحت تستخدم اليوم. يتكرر الدوي وبصوت أعلى وأشد، يصيخ السمع متجمدا في مكانه يحس خدرا وتثاقلا في ساقيه، يتجدد الصوت، إنه أقوى من أي وقت، تكاد الجدران من حوله تهتز، تتشتت أفكاره.

متبلبلا يقوم من مكانه فزعا، يصل إلى منتصف الصالة، يتوقف قليلا، يتأمل ما حوله، تتردد خطواته يمينا ويسارا غير واثق من الجهة التي سيقصدها أو أي الأماكن هي الأكثر أمانا في الدار، يخطر بباله أن يهرع إلى الحديقة، لكن قدميه تخذلانه، يتذكر أنهم يقولون أن الانزواء تحت السلم هو الأفضل في حالات القصف، يتحرك نحو تلك الزاوية وهو بالكاد يسحل خطواته سحلا، وفي زاويته التي انحشر فيها منطوي القامة، يفكر في الخطوة التالية التي عليه اتباعها وهي الوصول إلى الحديقة، قد أستطيع فتح الباب بسرعة والوصول إلى شجرة ما، هناك لا جدران ولا سقف، يجب أن أكون على حذر، وعليّ... لكنه لا يكمل دمدمته، ولا يتحرك خطوة من مكانه بعد ذلك قط. إذ ينهار الجزء العلوي من السلم وتسقط كتلة ضخمة من الحجارة على ظهره وعنقه، ينطرح أرضا غارقا في دمائه منفصلا إلى الأبد عن خوفه، لا تصدر عنه أنة أو حشرجة، ليحل بعد ذلك بساعات سكون تام في المكان.

في صباح اليوم التالي ذكرت الأخبار أن قصفا عنيفًا لحي سكني في إحدى ضواحي بغداد أدى إلى مقتل أحد عشر شخصا بينهم عدد من الأطفال والنساء والشيوخ ●

ICRC

القاهرة : الرعاية النفسية في حالات الكوارث

في منتصف شهر ابريل/ نيسان، نظمت كل من المنظمة العربية لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر و جمعية الهلال الأحمر المصري ومنظمة الصحة العالمية ندوة دولية حول التطورات الحديثة في مجال الرعاية النفسية في حالات الكوارث. شهد الندوة **جيرار بيترينيه**، رئيس بعثة اللجنة الدولية بالقاهرة، الذي تحدث عن أهمية الرعاية الصحية النفسية والدعم النفسي كمكونين رئيسيين لاستجابة الحركة الدولية للصليب الأحمر لضحايا الكوارث الطبيعية والنزاعات المسلحة، وعن جهود اللجنة الدولية لإدراج الدعم النفسي في البرامج التي تقدمها لصالح الفئات الأكثر استضعافًا، كالمحتجزين وعائلاتهم، والنساء والأطفال ●

.. ودورة تدريب للإعلاميين المصريين

وفي أواخر يونيو/حزيران، نظمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر، بعثة القاهرة، دورة تدريبية للإعلاميين المصريين. شارك فيها عشرون إعلاميا من مختلف مؤسسات الإعلام المقروء، والمسموع، والمرئي. تضمن برنامج الدورة عرضا لأنشطة اللجنة حول العالم وفي المنطقة العربية بصفة خاصة، إضافة إلى بعض الملفات التي تلقى اهتمامًا في الإعلام المصري مثل الألغام وحق زيارة الأسرى وآليات إنفاذ القانون الدولي الإنساني ●

تونس : استكشاف القانون الدولي الإنساني

ICRC

أوائل أبريل/ نيسان انعقد الاجتماع الإقليمي الرابع الخاص ببرنامج "استكشاف القانون الدولي الإنساني" في تونس (العاصمة) بمبادرة من وزارة التعليم والتكوين التونسية واللجنة الدولية للصليب الأحمر وبدعم من جامعة الدول العربية. شارك في هذا اللقاء 46 ممثلًا عن وزارات التربية من 12 بلدًا عربيًا وأربع جمعيات وطنية للصليب الأحمر والهلال الأحمر من المنطقة وممثلون عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر. الهدف الرئيسي من اللقاء تقييم التقدم الذي أحرزه برنامج "استكشاف القانون الدولي الإنساني" في العالم العربي حتى الآن وتذكير المشاركين بضرورة إدراج البرنامج في كافة المناهج الدراسية في الدول العربية، وكذلك دعوة الجمعيات الوطنية إلى تشجيع البرنامج وتفعيله بين الطلبة والطالبات خارج الإطار المدرسي. على هامش اللقاء، قدّم حوالي 15 تلميذًا تونسيًا عرضًا لمقالات صحفية تتناول النزاعات المسلحة التي تدور حاليًا في العالم ومسرحية تصور معاناة السكان المدنيين ●

الكويت : ندوة إقليمية للمتطوعين حول القانون الدولي الإنساني

ICRC

بالتعاون بين البعثة الإقليمية للجنة الدولية للصليب الأحمر لشبه الجزيرة العربية، والهلال الأحمر البحريني، والمنظمة العربية لجمعيات الهلال الأحمر والصليب الأحمر، أقيمت في البحرين ندوة إقليمية لمتطوعي وموظفي جمعيات الهلال الأحمر في دول شبه الجزيرة العربية حول القانون الدولي الإنساني. حضر الندوة 26 مشاركا ومشاركة يمثلون جمعيات الهلال الأحمر في كل من السعودية، والكويت، والبحرين والإمارات واليمن. كما نظمت البعثة ندوة أخرى مع الصحفيين بجريدة الوطن تضمنت عرض مواضيع تتعلق بالتعريف بقواعد القانون الإنساني ومبادئة والتعريف بالاتحاد الدولي وبالهلال الأحمر وأنشطته. وقد لقيت الندوتان اهتماما كبيرا من قبل المشاركين من حيث تنظيمهما ومواضيعهما وطالبوا بتكرار مثل هذه الندوات وتطويرها ●

بغداد : اللجنة الدولية تدعم معهد الطب العدلي

أكملت اللجنة الدولية للصليب الأحمر إعادة تأهيل مبنى وحدة المفقودين في معهد الطب العدلي ببغداد وسلمته إلى وزارة الصحة. وكانت اللجنة الدولية قد أكملت إعادة تأهيل ثلاجات حفظ الجثث في المعهد في 14 مارس/آذار 2006، حيث كانت 70٪ منها عاطلة. وفي المرحلة القادمة، سيتم استكمال إعادة تأهيل ثلاجات حفظ الجثث في 11 مستشفى ببغداد، تعمل كمراكز دعم لمعهد الطب العدلي. هذا ومن المتوقع أن ينتهي العمل بهذه الثلاجات خلال الشهر القادم. ويُعد هذا جزءًا من المساعدات المقدمة من اللجنة الدولية لمعهد الطب العدلي، الذي يكتظ بأعداد متزايدة من الجثث. إضافة إلى ذلك، قامت اللجنة الدولية بتزويد المعهد بمواد خاصة بالطب العدلي وكذلك بتدريب أخصائيي المعهد. إن اللجنة الدولية للصليب الأحمر تهدف، بدعمها هذا، إلى تعزيز قدرات معهد الطب العدلي لتحسين أساليب التعرف على الجثث وتجنب وجود حالات جديدة من الأشخاص مفقودين ●

مظفر أباد : توفير الدعم اللازم لضحايا الزلزال

تقوم اللجنة الدولية حاليا بإدارة مستشفى ميداني في مظفر أباد كما تقدم الدعم لوحدات الرعاية الصحية الأساسية، بالإضافة إلى توسعها في مشروعها للرعاية الصحية ليشمل قرية جديدة من قرى وادي "نيلوم". وقد افتُتِح المركز المشترك بين وزارة الصحة واللجنة الدولية للصليب الأحمر في أوائل شهر مارس/ آذار حيث استقبل 80 حالة منذ اليوم الأول

ويتكون هذا المركز من مجمّع من الخيام يحوي قسمًا للمرضى الخارجيين وقسمًا للأمهات والأطفال وقسما للتوليد وقسما للتلقيح وقسمًا للصيدلة، وستتوسع الخدمات قريبًا لتشمل فتح مختبر وقسم مختص لمرضى السل، ومن المتوقع أن يقدم هذا المركز الرعاية لـ35000 شخص. وتواصل اللجنة الدولية إدارة وحدات الرعاية الأساسية في كل من مظفر أباد، وباتيكا، وشيناري، بالإضافة إلى عيادة للأمهات والأطفال التابعة لوزارة الصحة في منطقة شام. أجرت هذه الوحدات 45000 فحص طبي شملت 10000 عملية تلقيح. وقد قامت اللجنة الدولية للصليب الأحمر مؤخرا ضمن برنامجها للإغاثة بتوزيع المواد الغذائية والمستلزمات المنزلية الأساسية على 272000 شخص من ضحايا الزلزال ●

جنيف : في الثامن من مايو/أيار تقدير جهود ملايين المتطوعين

يعد الثامن من مايو/آيار، اليوم العالمي للصليب الأحمر والهلال الأحمر، مناسبة لجميع العاملين مع الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر عبر أنحاء العالم لتقييم عملهم. وهو وقت أيضًا للتفكير فيما أثبتته مبادئ الحركة الأساسية من ملاءمة وأهمية حيث تعد تلك المبادئ بمثابة الرابط الجامع لهذه الشبكة الواسعة والمتنوعة. وفي هذا العام قام كل من الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر واللجنة الدولية للصليب الأحمر، إضافة إلى الجمعيات الوطنية العضوة بالحركة، البالغ عددها 183 حتى الآن، بالإعراب عن التقدير لملايين المتطوعين الذين يقدمون مساعدة عالمية للأشخاص المتضررين. وتعتمد الحركة الدولية للصليب الأحمر في عملها على أكثر من 90 مليون متطوع لتقديم المساعدة والدعم لما يربو على 275 مليون شخص على مستوى العالم. وفي بيان مشترك لهما قال كل من **خوان دل تورو**، رئيس الاتحاد الدولي، و**جاكوب كلينبرجر**، رئيس اللجنة الدولية: "المتطوعون هم حاملو ومنفذو رسالتنا إلى الملايين من الأشخاص المستضعفين عبر أنحاء العالم" ●

دبي : القانون الدولي الإنساني والإعلام

في أواخر أبريل/نيسان، نظمت اللجنة الدولية للصليب الأحمر ورشة عمل لاثني عشر إعلاميا من محطة تليفزيون MBC الفضائية في دبي، تحت عنوان "القانون الدولي الإنساني والإعلام". الهدف من هذه الورشة تعريف الصحافيين والمراسلين بالقانون الدولي الإنساني وتزويدهم بالمراجع القانونية الملائمة لتغطية الأحداث في مواقع النزاعات وتمكينهم من توثيقها بطريقة موضوعية. تم عرض حالات تطبيقية للنقاش بحيث غدت مبادئ القانون الدولي الإنساني متداولة ومقربة على الصحافيين، وقد أدرك المشاركون أن معرفتهم بالقانون الإنساني تساهم في تعزيز تطبيقه، كما تم التأكيد على محاور الاهتمام المشتركة والدور المرجعي للجنة الدولية للصليب الأحمر فيما يتعلق بالقانون الدولي الإنساني مما ساهم في تعزيز الصلات مع إحدى المحطات التليفزيونية الهامة في العالم العربي.

يشار في هذا الصدد إلى ثلاث ورش عمل مماثلة عقدت في دبي العام الماضي لصحافيين يعملون في قناة العربية الفضائية وCNN ـ العربية والمكتب الإقليمي لوكالة رويترز في الخليج ●

صنعاء : حماية الكرامة الإنسانية

في الثامن من مايو/آيار2006، افتتحت بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في صنعاء، وجمعية الهلال الأحمر اليمني، معرضا للصور في مدينة تعز تحت عنوان: معا من أجل حماية الكرامة الإنسانية، الصليب الأحمر والهلال الأحمر في اليمن، الماضي والحاضر"، حضر الافتتاح عدد من الزائرين مثلوا مختلف فئات المجتمع وهيئات المجتمع المدني بالإضافة إلى الصحافة.

وقد تضمن المعرض ثماني عشرة لوحة، بهدف تعريف جزء من التاريخ اليمني، المتمثل بعمل جمعية الهلال الأحمر اليمني وبعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في اليمن، إلى شريحة أوسع من المجتمع ولنشر فكرة الحفاظ على الكرامة الإنسانية، خاصة في الأوقات الصعبة أثناء النزاعات والمواجهات، والمستقاة من مختلف الحضارات والثقافات ●

جنيف : المعاهدة المتعلقة بمخلفات الحرب من المتفجرات تدخل حيز التنفيذ

رحبت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالتصديق العشرين على بروتوكول عام 2003 المتعلق بمخلفات الحرب من المتفجرات والذي جرى في 12 مايو/آيار. ويؤمن هذا التصديق دخول البروتوكول حيز التنفيذ وهو أول معاهدة متعددة الأطراف في القانون الدولي الإنساني تطالب بإزالة كل الذخائر غير المنفجرة المتروكة والتي تهدد بعد انتهاء المعارك حياة المدنيين وأفراد فرق حفظ السلام والعاملين في مجال الإغاثة. وكان البروتوكول قد اعتمد استجابة لمبادرة أطلقتها اللجنة الدولية في سبتمبر/أيلول 2000 حيث دعت اللجنة الدولية الدول الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة بشأن أسلحة تقليدية معينة إلى وضع قواعد جديدة في هذا المجال، لما تمثله الذخائر غير المتفجرة المتروكة من خطورة على حياة المدنيين.

هذا وقد صرح **جاك فورستر** نائب رئيس اللجنة الدولية بأن اعتماد هذا البروتوكول وإقرار الدول الأطراف أن على أطراف النزاع أن تتحمل المسؤولية في إزالة مخلفات الحرب من المتفجرات أو المساعدة في إزالتها يساعد في القضاء نهائيًا على التهديد الذي تسببه للسكان المدنيين. فلم يعد من المسموح للأطراف أن تتنصل من مسؤوليتها إزاء الذخائر التي استخدمتها ●

بعثات اللجنة الدولية للصليب الأحمر في المنطقة

القاهرة: 31 شارع جدة، حي المهندسين، القاهرة 12311
هاتف: 7619332/ 3379282 (202++) فاكس: 7618487 (202++)
البريد الإلكتروني: cairo.cai@icrc.org
مسؤول الإعلام: **جاسر الشاهد**

عمان: شارع أبو حامد الغزالي – الرقم البريدي 11191 صندوق بريد 9058
هاتف: 5688645/ 5688646 (9626++) فاكس: 5688649 (9626++)
البريد الإلكتروني: amman.amm@icrc.org
مسؤول الإعلام: **رباب الرفاعي**

بغداد: العلوية: ص.ب 3317
عمان: ص.ب 9058 عمان 11191 الأردن هاتف: 01922460 (79 964++)
البريد الإلكتروني: iraq.iqs@icrc.org
مسؤول الإعلام: **ندى دوماني**

دمشق: أبو رمانة، ميدان الروضة، شارع مصر، بناية جرد، الدور الثالث صندوق بريد 3579
هاتف: 3310476/ 3339034(96311++) فاكس: 3310441 (96311++)
البريد الإلكتروني: damas.dam@icrc.org
مسؤول الإعلام: **رنا مدفعي**

القدس: شارع النبي شعيب رقم (8) شيخ جراح، الرقم البريدي 91202
صندوق بريد: 20253
هاتف: 5828441/ 5828845/ 5828802 (9722++) فاكس: 5811375 (9722++)
البريد الإلكتروني: jerusalem.jer@icrc.org
مسؤول الإعلام: **كاسبار لاندولت**

بيروت: بناية عيتاني، شارع السادات، الحمرا، رأس بيروت
صندوق بريد 7188–11، رياض الصلح 1107 2230
هاتف: 739297/ 739298/ 739299(9611++) فاكس: 740087(9611++)
البريد الإلكتروني: beyrouth.bey@icrc.org
مسؤول الإعلام: **كريم المفتي**

الخرطوم: شارع رقم 33 منزل رقم 16 امتداد العمارات. صندوق بريد 1831
هاتف: 836464 (1) 249 ++ (خمس خطوط) فاكس: 837709 (1) 249 ++
البريد الإلكتروني: khartoum.kha@icrc.org
مسؤول الإعلام: **جيسيكا باري**

تونس: المندوبية الإقليمية بتونس، رواق البحيرة عمارة 9،
نهج بحيرة كنستنس 1053 مدرج 2 تونس:
هاتف: 960179/ 960154/ 960458 فاكس: 960156 (21671++)
البريد الإلكتروني: tunis.tun@icrc.org
مسؤول الإعلام: **محمد بن أحمد**

الجزائر: 18 شارع بوجمعة 16070. المرادية. الجزائر
هاتف: 80 28 2160 / 21482482 (213++) فاكس: 80 28 2160 (213++)
مسؤول الإعلام: **صدري بن تشيكو**

صنعاء: شارع بغداد ص.ب 2267 شارع رقم 19، منزل رقم 20
هاتف: 4/ 467873 / 44 121 38 46 (9671++) فاكس: 75 78 46 (9671++)
البريد الإلكتروني: sanaa.san@icrc.org
مسؤول الإعلام: **هشام حسن**

الكويت: البعثة الإقليمية لشبه الجزيرة العربية: الجابرية، قطعة 5، شارع رقم 3،
منزل رقم 32 صندوق بريد: 28078 – الصفاة 13141
هاتف: 5322061/ 5322062/ 5322098 (965++) فاكس: 5324598 (965++)
البريد الإلكتروني: koweit.kow@icrc.org
مسؤول الإعلام: **فؤاد بوابة**

بعثة الصومال: International Committee of the Red Cross
Somalia Delegation, Denis Pritt Road
P.O.Box 73226 - 00200. Nairobi. Kenya
هاتف: 5/ 4/ 2723963 – 9/ 8/ 2713367 (25420++) فاكس: 2713731 254 20 ++
البريد الإلكتروني: somalie.sak@icrc.org
مسؤول الإعلام: **بدرام يازدي**

طهران: كميته بين المللي صليب سرخ
تهران – بلوار آفريقا – خيابان تابان شرقي – شماره 75
هاتف: 8785503 98++ فاكس: 98218783370 ++
البريد الإلكتروني: teheran.teh@icrc.org
مسؤول الإعلام: **فريديريك غوان**

لا تدقق كثيرا فهذا ليس فيلما سينمائيا!

هذه المشاهد لا يؤديها ممثلون أو دوبليرات يقومون بحركات بهلوانية.

وهذه الطلقات لا تصدر عن شريط صوت مصاحب لعملية مونتاج تتم في معمل.

لا تشغل رأسك بالمتابعة، فهذه ليست ديكورات تم بناؤها في استوديوهات سينمائية.

...

هؤلاء الأطفال الذين يمدون أيديهم بآنية من صفيح ليحصلوا فيها على مغرفة من الحساء في مخيم لاجئين هم أطفال حقيقيون في غرب السودان وإثيوبيا وسهول القرن الأفريقي.

وهؤلاء الذين يمرحون وسط ما يشبه الخرائب مسلحون حقيقيون، أما الخرائب فهي ما تبقى من معالم مدينة كانت تدعى مقديشيو.

...

هذه الجثث المحمولة على الأعناق التي تقترب كثيرا من وجوهها عدسة الزووم جثث حقيقية يشيعها الناس في غزة، في نابلس، وفي رام الله.

وهذه الحافلة المدمرة تظهر خلفها معالم القدس.

القدس الحقيقية.

أما تلك العربات النصف نقل المحملة بالأشلاء فهي تسير في حي من أحياء بغداد.

...

أثناء العمليات العسكرية التي جرت أحداثها قبل ثلاث سنوات بالعراق، كانت المشاهد المنقولة لهذا البلد مشاهد عامة: (توتالا) بلغة السينمائيين، كنت تشهد خلالها أوضاع وزوايا التصوير التي تنقل لك التدمير ساعة حدوثه، ولكن من مسافة كافية: شاشة حاسوب تعرض لك عملية التصويب، ثم انفجار تشهده عن بعد كأنما يحدث في هيكل كرتوني، ودخان متصاعد من مبنى، وعربة تنفجر من بعيد كأنها إحدى الألعاب التي يتسلى بها طفلك.

رويدا رويدا، مع الوقت، هبطت آلات التصوير إلى الأرض لتنقل مشاهد مقربة: (كلوز) كما يقولون.

...

لا تقلب في الجريدة كثيرا بحثا عن مقال مفصل تفهم منه شيئا.

فقط انظر إلى الصورة التي تتصدر الصفحة الأولى أو غلاف هذه المجلة، سوف تجد مشهدا لامرأة تلطم خديها أو لأطفال وقد جردهم الرعب من كل طفولة يتحلقون حول ما تبقى من عربة أو دبابة مدمرة على قارعة الطريق.

لا تحاول قراءة شيء، المشهد وحده يكفيك لكي تعرف الكثير. فالصورة أصبحت دليلك إلى المعرفة!

...

لا تكن متعجلا في لعن هذا الزمن الرديء؛ لا مجال هنا للنفاق الذي لا معنى له؛ فأنت نفسك لم يصبك شيء، أو هكذا تفكر!

أنت في مأمن، كونك بعيدًا الآن عما تشاهده، إذ تفصل بينك وبينه شاشة التليفزيون، وهذه الصفحة الورقية التي تطالعها.

لا تسأل نفسك إن كنت قد تغيرت، فأصبحت لا مباليا بما يدور بعد أن وضعتك هذه الشاشة الزجاجية في موضع العجز! وألقت بك إلى دور المشاهد الجالس بعيدا عن أماكن التصوير.

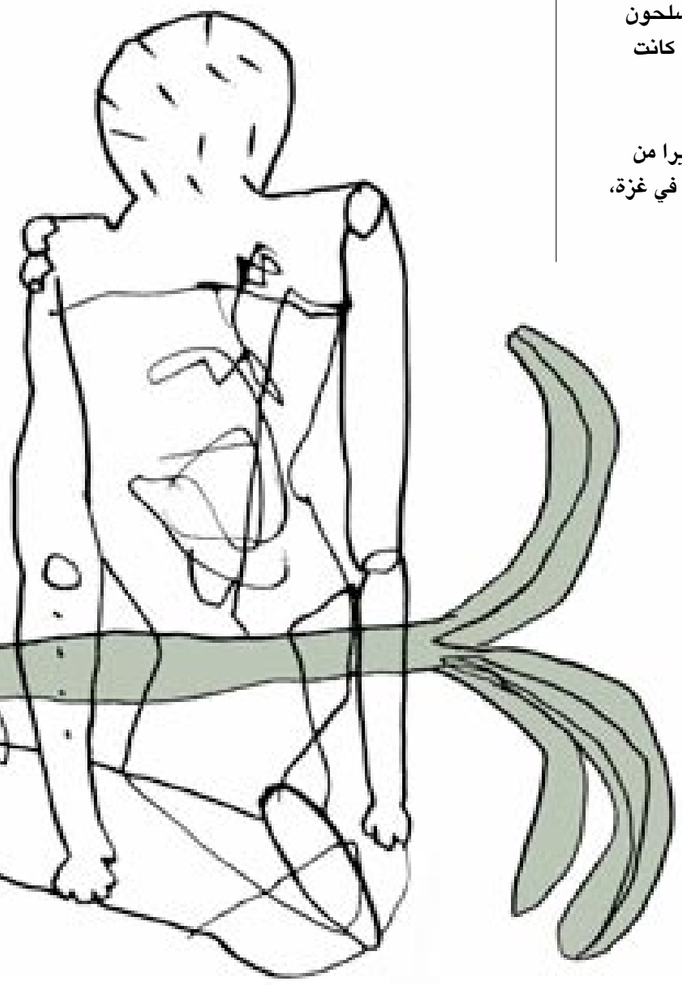

هناك شيء فيك قد تغير، بل ربما تكون أنت قد تغيرت بالكامل.

إنها رسائل سكنت في البداية جانبا من مخيلتك وما لبثت أن احتلت كل حيز هذا المخيلة.

الحرب ليست هنا

محمد سيف الرسم: عمّار داوود*

لقد تعودت عليها وشيئا فشيئا صرت واقعيا في تقييمك للأمور.

صرت تقول: حسنا، هذه القنبلة كان من شأنها أن تقتل عدة مئات، ولكن لم يصب من جرائها إلا عشرات فقط لحسن الحظ!

ترى هل بلغت مرحلة النضوج والحكمة في النظر إلى الأشياء؟

...

هذه المدينة آمنة، أو هكذا يخيل لك وأنت تسير في شوارعها تحاول اقتناص بعض المتعة في التسوق أو الفرجة على حوانيتها المكتظة بالسلع.

قل لنفسك في كل خطوة تخطوها أن الحرب ليست هنا، وأنك بعيد بالقدر الكافي عن هذا العنف.

كرر هذا القول في سرك حتى يستقر معناه في نفسك، ولكن حاذر أثناء تنزهك وسيرك أن تفقد انتباهك مع ذلك، فربما انفجر إطار إحدى السيارات على مقربة منك لتجد نفسك مصابا بصدمة نفسية!

الحرب ليست هنا بكل تأكيد، فشوارع مدينتك تنساب فيها الحياة كالمعتاد، والناس يجلسون في المقاهي وفي المتنزهات ويمارسون حياتهم بكل اعتيادية محببة؛

لا تكن متوجسا، أو تفكر في أنه برغم هذا الهدوء الظاهر البادي على وجوههم فملامحهم ترتسم عليها معالم القلق؛

حاول أن تبعد هذه الأفكار عن رأسك، وألا تنسب قلقهم هذا إلى ما يعيشونه من حرب يومية طاحنة سعيا وراء لقمة العيش أو ما شابه، فما تراه كان ومنذ الأزل صورة طبيعية لملامح الناس في مدينة هادئة.

إن الحرب ليست هنا، فلا تصور لنفسك أن أثر العنف الذي يتلقون أنباءه وصوره في جرعات مكثفة قد جعلهم يضيقون ببعضهم البعض وصاروا يتشاجرون لأدنى سبب، أو يتشاحنون بلا مناسبة.

إنها خيالاتك وحدك، فالمدينة هادئة، ولا خطر على الأبواب؛ فالحرب لا تزال بعيدة عن هنا.

ولو أنها استقرت بعجيجها وعنفها في نفسك، وطاولت حتى الضمير ●

(*) فنان عراقي يعيش ويعمل في السويد

مباشرة من الميدان

قامت اللجنة الدولية للصليب الأحمر بإنتاج سلسلة جديدة من الأفلام مدتها ثماني دقائق وقد خصصت للبث التليفزيوني والمشاهدة على شبكة الانترنت. وقام بتصوير هذه السلسلة التي صدرت هذا الأسبوع بعنوان **مباشرة من الميدان** مصورو قسم الإعلام في اللجنة الدولية الذين يستطيعون الوصول إلى مناطق النزاعات وحالات الطوارئ التي غالبًا ما يعجز الصحفيون عن الوصول إليها.

تبين هذه الأفلام كيف تؤثر الحروب وأشكال العنف الأخرى على حياة الناس في كافة أنحاء العالم والجهود التي تبذلها الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر لإغاثتهم.

تتوفر هذه السلسلة باللغتين الفرنسية والإنكليزية وبنسخ في لغات أخرى ويمكن الحصول عليها مسجلة على أقراص DVD. ويجري الإعداد بصورة منتظمة لعناوين جديدة في إطار هذا الإنتاج.

والعناوين المتوفرة حاليًا: دارفور: Living in the Shadow of Conflict (متوفر في اللغة العربية)، باكستان: Saving Lives in Kashmir، نيبال: Trapped between Two Sides، دارفور: The Civilian Victims (متوفر في اللغة العربية)، إندونيسيا/ سري لانكا: After the Tsunami، أوغندا: Forgotten Victims. ويصدر قريبًا: اليمن: Family Messages a Lifeline، أنغولا: The Scars of Conflict، وأفغانستان: Surviving the Peace.

التقرير السنوي للجنة الدولية لعام 2005

يتضمن هذا التقرير نتائج جهود حوالي ثمانين بعثة للجنة الدولية تعمل حول العالم، كما يصف التأثير المروِّع للنزاع المسلّح على السكان عبر أنحاء العالم وجهود المنظّمة الرامية إلى تخفيف المعاناة عن هؤلاء السكان. فخلال العام، قدّمت اللجنة الدولية الغذاء لمليون شخص وزوّدت ثلاثة ملايين شخص بإمدادات الطوارئ؛ كما كفلت مشاريع اللجنة الدولية المتصلة بالمياه والصرف الصحي والبناء احتياجات نحو 11 مليون شخص؛ واستفاد حوالي 2,4 مليون شخص من مرافق الرعاية الصحية المدعومة من اللجنة الدولية؛ وزار المندوبون 528 ألف شخص محرومين من حريتهم في 2600 مكان احتجاز في 76 بلداً، وأتاحت اللجنة الدولية، بالتعاون مع الجمعيات الوطنية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، لأفراد العائلات التي شتتتها العمليات العدائية وغيرها من الأزمات تبادل نحو مليون رسالة.

متوفر بالإنجليزية، يطلب من بعثات اللجنة الدولية حول العالم.

اللجنة الدولية للصليب الأحمر في العراق وقائع وأرقام عام 2005

تحت عنوان: "ملتزمون بمساعدة المتضررين من جراء النزاع" أصدرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر كتيبا يتضمن عرضا للمجالات الرئيسية لأنشطة اللجنة الدولية في العراق مثل زيارة الأشخاص المحرومين من حريتهم، وإعادة الروابط العائلية والبحث عن المفقودين، إضافة إلى المساعدات الطبية والاستجابة للطوارئ الإنسانية (المياه والصرف الصحي) مع إعادة التأهيل والترميم. كما يتناول الملف طبيعة التعاون مع جمعية الهلال الأحمر العراقي وأنشطة الاتصالات والإعلام. يطلب من بعثات اللجنة الدولية.

«الإيثار» العدد الثالث والثلاثون

هذا هو العدد الثالث والثلاثون من مجلة **الإيثار**، التي تصدرها جمعية الهلال الأحمر اليمني بدعم من اللجنة الدولية للصليب الأحمر. يتضمن العدد عددا من المواضيع الراهنة التي تهم القارئ، ومنها: "حماية المفقودين والموتى في القانون الدولي والشريعة الإسلامية"، و"ما الذي يمكن عمله لاتقاء العنف؟"، وكذلك يتناول موقف اللجنة الدولية للصليب الأحمر من التعذيب والمعاملة السيئة. إضافة إلى أبواب المجلة المتنوعة.

يطلب من جمعية الهلال الأحمر اليمني.

«المجلة الدولية» عدد خاص عن الاتصال

في أوضاع النزاعات المسلحة والعنف الجماعي، غالبا ما يتم التأثير على مجال الاتصال وتبادل المعلومات وذلك بفعل سيطرة بيئة الخصومات والمساجلات المصاحبة، ويهدف هذا العدد الخاص من المجلة الدولية للصليب الأحمر إلى البحث في العلاقة بين عالم الاتصال وبين النزاعات المسلحة، لكل من وسائل الإعلام والمنظمات الإنسانية.

يطلب من بعثات اللجنة الدولية.

AL-INSANI . 36 . Summer 2006
• Current Humanitarian Situation in Iraq • Faith-Based Organizations in the Arab World

Contents

• **Current Humanitarian Situation in Iraq**

• **Iraqi Hospitals: Institutions working under violence**
An interview by an ICRC staff member in Iraq with an Iraqi doctor on the problems that Iraqi health institutions face under the prevailing insecurity in Iraq.

• **Internal Displacement**
A review of a report by the Iraqi Red Crescent Society on the large numbers of internally displaced families throughout Iraq.

• **Killing Based on Identity**
Hundreds of Iraqi people were killed not for a crime they have committed, but merely because their very names may reveal the group or sect to which they belong. By: Dr. **Hameed Abdalla**, Professor of History

• **Iraqi Arts and Mesopotamian Civilization**
For the author, a leading Iraqi sculptor, it is all like a nightmare. It is impossible to understand why people are killed, and cities and civilizations are destroyed. Baghdad indeed is lying by the Tigris moaning in grief. By: **Mohamed Ghany Hekmat**, Iraqi Sculptor

• **Iraq: The Culture of Blood, and the Blood of Culture**
At the gate of the forensic medicine office in Baghdad, he used to appear every day with a coffin, hoping to find the body of his kidnapped son and to take it home before laying it in a grave! By: **Nermeen El-Mofty**, Iraqi Writer

• **From the Field:**
• **Somalia: Between the Hammer of Dryness and the Anvil of Armed Violence**
With the renewed outburst of armed violence in Somalia, large numbers of people are killed or wounded. Armed men also violate the protection afforded to hospitals: a view of the situation today.

• **Chad: Cuban Doctors in the Field** By: **Anahita Kar**, ICRC Delegate in Chad

• **Palestine: The Impact of the Barrier on the Living Conditions of the Palestinian People** By: By: **Nasser El-Rayis**, Lawyer

Special File: Faith-Based Organizations in the Arab World

Faith-based organizations have tried to adapt to the post 9/11 world, a world in which controversy surrounds any charity work inspired by religion. This file gives the floor to a number of faith-based organizations to explain how they see their own work and the effects of 9/11 on their space. In this special file, Al-Insani seeks to clarify part of the picture of these organizations through articles and accounts of activists in the humanitarian and the Islamic charity work.

• **The Concept of Charity Work in Islam** By: **Ameur El-Zemmali**, ICRC Legal Advisor for the Islamic World

• **Islamic Organizations After 9/11**
Since 9/11, many laws and regulations have restricted the space and work of charity and relief organizations. Moreover, these laws and regulations failed to achieve the goals for which they were enacted.
By: Dr. **Saleh Ben Soliman Al-Waheiby**, Secretary-General of the World Assembly of Muslim Youth, Saudi Arabia

• **What is Charity Work?**
Charity and missionary work seem to often go in pair. Some Christian institutions do not hide this, and work on a missionary basis, while some Islamic institutions act on an advocacy basis. By: **Hassan Yousif**, Director of Islamic Association, Bahrain

• **Where do Faith-Based Organizations Get their Credibility and Authority?**
By: Dr. **Adnan Khalil Al-Bacha**, Secretary-General of Islamic Relief, Jeddah

• **Reconciling the RCRC Movement's Principles and Islamic Obligations**
Reconciliation between the International Movement's principles and Islamic Obligations: All people must be aware of these principles and obligations. By: Dr. **Saleh Ben Hammad El-Tewergy**, Deputy President of Saudi Red Crescent Society

• **Al-Makased: For Every Person, and All Mankind**
By: **Hisham Nashabah**, Head of Board of Directors, Higher Institute, Al-Makased Al-Khairaya Society, Beirut

• **Islamic Relief**
An interview with Dr. **Hani El-Banna**, President of Islamic Relief

• **International Relief Coordination**
Coordinating relief activities is a major challenge for humanitarian organizations, particularly during emergency situations, aggravated crises, and severe disasters. By: **Abdel-Rahman El-Taniegy**, Public Relations and Communication Officer, UAE Red Crescent Society

• **Faith-Based Organizations and International Donor Agencies** By: **Ann-Marie Holestein**

• **Time of Displacement (Photos)**

• **Iraqi Poems** By: **Khalid El-Hally**, Iraqi poet

• **War Memories: Still life** By: **Ibtesam Abdalla**, Iraqi Writer

• **Around the World**

• Without Retouches: **The war is not here** By: **Mohamed Seif**

• **Publications**

Editorial

The Return of Humanity from the Journey of Defeats

On June 5, 2006, the renowned Egyptian activist and political thinker Ahmed Abdalla Rozza passed away. Al-Insani was honored to publish his last lines in its issue number 33. In his article "The Absurd in the Inhuman Infinity", he described the deterioration of the humanitarian situation throughout the world.

The dear late friend wrote:

"In this illusionary and violent world of angels and devils, the few remaining human beings find themselves in a difficult situation, engaged in simultaneous battles. First, they confront intellectual illusions and actual violence; a long-term battle in which the objective is the restoration of the humanity, or at least shortening the fall and extending the spring. (…)

Secondly, they are involved in a medium-term battle, a battle of liberating more territories where people can feel free of fear. It is the battle of the ordinary man who does not belong to any of the two illusionary camps. This ordinary man can no longer walk or travel in peace, nor to even relax in a café or a restaurant. A circle of fire is roaming above his head, the opposite of the circle of light that roams above the heads of saints: this fire comes from cluster bombs, car bomb, explosive belts and all other conventional and modern weapons available at the arsenal of violence. (…)

As for the short-term battle, it remains that of urgent humanitarian work, which, hopefully, can be effective."

Fate has decided for this region to be a stage for the absurd, as we witness with every news bulletin. It has also decided that our human dimension will pay the price of the confrontation between those who possess weapons, and who deal with the human kind from a doomsday perspective. This doomsday perspective turns us all into hypnotized puppets controlled by evil fate in a weird game. It is a theatre in which man is put aside and illusions are unleashed. These are the illusions which the late activist Ahmed Abdalla tried to fight with his brilliant mind and sharp insight.

In this asymmetric war, humanity could sometimes be defeated. Nevertheless this short-lived defeat, when measured against history, is but a glimpse, after which humanity restores itself, as it does after every moment of madness.

With every return from the journey of defeats, humanity is severely wounded: during each such journey victims die and civilizations are destroyed. However, there is absolutely no doubt that, this time again, humanity will win the uphill battle and retrieve its sanity.

"Al-Insani"

REUTERS